مكتبة ياسمين

قصص

لويجي كابوانا

كان يا ما كان



ترجمة: نبيل رضا المهايني

مقدمة المترجم 5

مقدمة 8

هالة الشمس 11

ضفيدع 35

التي بلا أذنين 49

الرجل المذؤوب 58

حصونة 75

الشجرة الناطقة 88

الخواتم الثلاثة 99

العجوز 109

نافورة الجمال 119

الحصان البرونزي 134

البيضة السوداء 145

ابنة الملك 158

سربنتينا 169

الدرهم المثقوب 179

ترا را را 189

رأس الضفدع 202

جريذ 216

الحكواتي 228

الأميرة 240





مقدّمة المترجم

هذا أوّل كتاب خرافات وقصص خياليّة يؤلّفه لويجي كابوانا Luigi Capuana (1839-1915) كاتبِ الواقعيّة الحقيقيّة. ومع أنه كتب الكتاب وعينه على أحفاده الصغار فإن عينَهُ الأخرى بقيت على قرائه البالغين.

اعتبر ((كان يا ما كان)) من أروع أعمال القرن التاسع عشر الأدبيّة في إيطاليا. يقدّم فيه كابوانا عالماً مليئاً بالجنيات والسحرة والملوك والقصور والغيلان والسحر. لكنّ لقصصه هذه المليئة بالقوافي والأهازيج الشعبية أساساً متيناً في فولكلور بلده، أي جزيرة صقلّية. إنّ كابوانا يستوعب قصصاً رائعة من بلاده وأرضه ويترجمها على شكل اقتراح أدبيّ جديد.

لويجي كابوانا كاتب، وناقد أدبي، وصحافي، من أهم أدباء الواقعيّة الحقيقيّة. ولد من عائلة ملّاك ميسورين في إحدى ضواحي كاتانيا، ثانية المدن الكبيرة في جزيرة صقلّية. درس في المدارس الرسمية ثم تابع دراسته في معهد برونتي الملكي قرب بلدته، لكنّه ترك دراسته في المعهد لأسباب صحية وتابعها بمفرده إلى أن حصل على الثانوية فدخل في كلية الحقوق ثم تركها ليلتحق بحملة غاريبالدي العسكريّة. أقام أيضاً في مدينة فلورنسة واحتكّ فيها بكبار الأدباء والمفكرين وأسهم في

حركتها الأدبيّة. عندما عاد إلى بلدته في صقلّية ومات أبوه اضطر للعمل في مدارس البلدة إلى أن تمّ انتخابه عمدة لها. وفي 1902 انتقل إلى كاتانيا ليدرّس في جامعتها ثمّ مات فيها عام 1915.

يبدو أنّ الكاتب تزوّج في شبابه بطريقة غير قانونية من خادمة كانت تعمل في بيت العائلة وأنجب منها عدّة أولاد تمّ إيداعهم كلّهم في ملجأ اللقطاء لأنّه كان من المستحيل وقتها الاعتراف بأولاد أنجبتهم أمّ خادمة.

أهمّ أعماله الروائيّة كانت تلك التي استلهمها الكاتب من الحياة في جزيرة صقلية ومن شخصيات وأحداث منطقته والتي عبّر عنها بأسلوب هزلي كوميدي على الرغم من مآسيها. هناك أيضاً الحكايات والخرافات التي كتبها كابوانا والتي تضمّ أهازيج وأناشيد وقصائد شعبيّة من أجمل ما كتب المؤلف.

استعمل كابوانا في عمله الأدبيّ طريقة أساسيّة تعتمد على تصوير الواقع تصويراً مباشراً واستقاء أحداث الرواية من الوقائع الحية. كما كان الكاتب يحرص على ألّا يستعمل أحداث الواقع ليعبّر عن شخصيته خلال روايته لها. أمّا عن الأسلوب فكان لا بدّ من الابتعاد عن البلاغة والخطابة واستعمال النثر اللين والحي

والحقيقة أنّ أعمالاً أدبيّة كثيرة ظهرت في تلك

الفترة لتصف الواقع في كثير من مناطق الجنوب الإيطالي وخاصة في صقلية ونابولي وسردينيا. وكان كابوانا من بين أهمّ كبار مؤلفي هذه الأعمال على غرار جوفاني فيرغا وغراتسيا ديليدا. لكنّ كابوانا كان من أوائل الكتّاب الإيطاليّين الذين أوجدوا نظريّات الواقعيّة الحقيقيّة وذلك عندما قال بـ (شعر الحقيقة).

لا بُدَّ من الإشارة على أيّة حال بأنّ الواقعيّة الحقيقيّة كانت تيّاراً أدبيّاً نشأ بين عامي 1875 و1895 على يد مجموعة من الكتّاب لم يشكّلوا مدرسة فعليّة بل كانوا يتّبعون مبادئ محدّدة. وقد نشأ التيّار تحت تأثير جوّ الإيجابيّة التي دعت إلى الثقة المطلقة بالعلم والأسلوب التجريبي وبوسائل البحث الناجعة. كما استلهم التيّار الحركة الطبيعيّة التي انتشرت في الأوساط الأدبيّة الفرنسيّة حتى نهاية القرن الثامن عشر. وكان كتّاب هذه الحركة يدعون إلى تصوير الواقع الاجتماعي تصويراً موضوعيّاً وتمثيل كلّ طبقاته، بما فيها الطبقة الدنيا، بكلّ ملامحها، المحبّبة منها والمقززة. كما دعا هؤلاء الكتّاب المؤلّفين ليكونوا كالعلماء في تحليلهم لجوانب الحياة الملموسة.

مقدّمة

إلى أحفادي الأعزّاء

هكذا ولدت هذه الحكايات.

في يوم من الأيّام حضرتني فكرةُ كتابة بعض الحكايات لأحفادي، بعد أن كتبتُ حكاية بناء على طلب طفل عزيز على قلبي، ألحّ عليّ في طلب حكاية جميلة.

في ذلك الوقت كنت حزين الفؤاد ومريضاً إلى حد ما، وكان يتملّكني خمول في فكري وكسل أغضبني. لذلك لا يمكن أن يتخيّل القرّاء أية سعادة غمرتني عندما ظهر في مخيّلتي وأشرق عالم رائع مليء بالساحرات والسحرة والملوك والملكات والغيلان والصور الخياليّة المسحورة. كيف لا وهذا هو أول مرعى للفنّ الذي يغذّي عقولنا.

عشت أسابيع عديدة معهم، عشت ببراءةِ من لا يصدّق أن يحدث مثل هذا لشخصٍ يعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الواقع هو مملكة الفنّ الحقيقيّة. لذلك فإنه لو جاءني وقتها شخص دخيل ليحدّثني عن أمور جديّة وخطيرة فلا شكّ أنّي كنت سأجيبه أنّ في رأسي أموراً أكثر جديّة: ففيه تدور قصص عن ثعبان صغير في خطر، أو عن أميرة تحتضر حرقةً على حبيبها الضفدع، أو عن ملك تمكّن من تجاوز ثالث امتحان والعيش سبع سنوات تحت المطر الغزير وتحت أشعّة الشمس

الخارقة كيما يستطيع أن يكسب يد حبيبته المعبودة.

كان يؤرّقني أيضاً قلقٌ شديد من أحكام ذلك الجمهور الصغير الذي كان يغزو مكتبي مرّتين أو ثلاث مرّات كلّ يوم ليعرف متى سأنتهي من كتابة الحكاية الجديدة. كان أولئك الأشقياء الأعزّاء يتربّعون بعدها حولي متعجّلين فاقدي الصبر وينقلبون بكمّاً كلّهم عيون وآذان، ما إن أبدأ كلامي وأقول: كان يا ما كان... كانوا يخيفونني حقّاً. قليلون هم على ما أظنّ المؤلّفون الذين كانوا ينتظرون خلف الكواليس ليسمعوا حكم الجمهور على أعمالهم، وهم يرتجفون قلقاً مثلما أرتجف إذ أرى نفسي في مجابهة رؤوس صغيرة مفعمة بالحيوية والذكاء بينما أنا أتلعثم لأتلفّظ بلغة بسيطة فعّالة مثيرة لا يستقيم ولا يتفوّق إلّا بها الشكل الفنّي للحكاية الخيالية.

عليَّ إخبار القارئ الوديع بهذا الأمر، خاصّة أنّ هناك من يرى في هذا الكتاب عملاً فنياً بحتاً وليس كتاباً مخصصاً فقط للأطفال.

إنّ لهذه التجربة عذراً: الظروف التي أحاطت بإنتاجها. فلا شكّ أنّي لم أفكّر البتّة بالتسلّط على شكل عفويّ وبدائيّ للفنّ أي معاكس تماماً لصفات الفنّ الحديث. حتّى إنّي شعرت بشيء من تأنيب الضمير وأنا أراجع مسودات الطباعة.

أليس هناك إهانة في دعوتي الجمهور إلى أن

يكون شاهداً حول تلك الملوسة الحلوة التي لا يمكن لي ذكرها من غير أن يعتريني الانفعال والندم؟

إنّي أستحقّ ذلك بالفعل، أستحقّ دخول أولاء الجنيات بين جدران مكتبي البيض التي تعمل شمس كانون الثاني على تدفئتها بحرارة أشعتها، بينما تنقر طيور السنونو على زجاج نافذتي المغلقة وبينما لم يجرؤ أشقيائي الصغار على التنفس في حضور إلهات الشعر، أستحقّ ذلك إن حمل الازدراءُ الساحرات على وضع كتابي هذا تحت رحمة أحكام النقد القاسية.

روما 22 حزيران 1882

لويجي كابوانا

Luigi Capuana

هالة الشمس

كان يا ما كان،
كان هناك خبّازة لها بنت.
كانت البنت سوداء كالفحمة السوداء،
ودميمة قبيحة كذنوب الفحشاء.

أمضت المرأة وابنتها عمرهما وهما تخبزان الخبز للناس، وكان الناس يسمّون البنتَ جميرة (١)،
كانت جميرة دائماً في جيئة وذهاب،
من الفجر وحتّى الغياب:
- هيّا، صبّي الماء! هيّا اعجني العجين!

كانت جميرة تذهب بعدها هنا وهناك، تتأبط عصا وتعتمر كمكة قماش على رأسها، تضع فوق الكمكة طبقاً فيه العجين الذي تستلمه من الناس ليخبز في الفرن. ثمّ تحمل السلّة على كتفها. ثمّ ومن جديد تذهب هنا وهناك لتسلّم الخبز بعد أن يخبز وينضج، وهكذا فإنّه لم يكن لديها دقيقة واحدة تستريح فيها.

إلّا أنّ جميرة كانت طيّبة المزاج على الدوام. فعلى الرغم من أنّها كانت تبدو مثل كومة من السخام، بشعرها الأشعث على الدوام، وقدميها الحافيتين الموحلتين، وبالخرق البالية المهلهلة التي تتدلّى على أطراف جسمها، فإنّ قرقعة ضحكاتها كانت ترن من طرف الطريق إلى طرفه الآخر.

فكانت جاراتها يسخرن منها، يتضاحكن ويرددن:

- إنّها جميرة التي تبيض البيضة.

لكن ما إن يصدح نشيد يا مريم عليك السلام حتى تغلق الخبازتان الباب، فلا يرى منهما ساعتها وجهاً ولا حتى أنفاً.

حسناً، لا بأس في هذا خلال الشتاء...

لكن ماذا عن الصيف، عندما يتمتع كلّ الجوار بالهواء الطلق وبضوء القمر؟

أم إنّهما مجنونتان، تلك الأمّ وابنتها، حتى تغلقا الأبواب وتبقيا سجينتين في البيت على الرغم من كلّ ذلك الحر؟... بهذا كانت الجارات يجهدن رؤوسهنّ بالتفكير...

- هيّا أيّتها الخبّازتان، اخرجا، فالهواء طلق، اخرجا!

- الهواء أشدّ طلاقة عندنا في البيت.

- انظرا أيّتها الخبّازتان ما أجمل ضوء القمر، انظرا!

- ضوء القمر أجمل في البيت.

إيه، لا بدّ أنّ هناك سرّاً في هذا الأمر!

وهكذا بدأت الجارات يتجسّسن ويختلسن السمع من خلف الباب. رأين من خلال شقّ الباب بهاءً يبهر الأبصار، بينما كان يعلو صوت الأمّ من

حين لآخر وهي تقول:

- ملكةً بإذن القهّار، يا هالة شمس النهار!

فتبيض جميرة البيضة.

- كان حقّاً عندما قيل إنّهما مجنونتان!

كلّ ليلة على هذا المنوال، حتّى منتصف الليل: - ملكةً بإذن القهّار، يا هالة شمس النهار!

وصل الأمر إلى مسامع الملك. اشتعل الملك غضباً وأرسل في طلب الجارتين.

- إذا استمرّ بكِ الأمر على هذا المنوال فسأرميك في غياهب السجن أنت وجميرة!

- صاحب الجلالة، هذا ليس صحيحاً، لقد كذبت الجارات. أمّا جميرة فأخذت تضحك في حضرة الملك.

- آه، إنّك تضحكين؟

وهكذا أرسل الاثنتين أي الأمّ وابنتها إلى السجن.

لكنّ حارس السجن رأى من خلال شقّ الباب بهاءً يشع في الزنزانة، بهاء يبهر الأبصار، كما سمع العجوز تقول بين الفينة والأخرى:

- ملكةً بإذن القهّار، يا هالة شمس النهار!

ثمّ تبيض جميرة البيضة أي إنّ قرقعة ضحكاتها ترن عبر السجن كلّه.

ذهب الحارس إلى الملك وأخبره بكلّ الأمر.

استشاط غضب الملك أكثر من المرّة السابقة.

- هل هذه نتيجة العقاب؟ ضعوهما إذن في سجن المجرمين، تحت الأرض.

كانت زنزانةً ينقصها الهواء والضوء وتنتشر الرطوبة في كلّ أنحائها ولا يمكن لمخلوق أن يعيش فيها. لكن ما إن يحلّ الليل حتى يشتعل حتى داخل سجن المجرمين بهاءٌ يبهر الأبصار، وكانت العجوز تقول:

- ملكةٌ بإذن القهّار، يا هالة شمس النهار!

عاد الحارس إلى عند الملك وأخبره بكلّ أمر.

دهش الملك هذه المرّة فجمع مستشاري مجلس العرش. فمن المستشارين من طلب قطع رأسي الخبّازتين ومن رأى أنّهما مجنونتان ويجب إطلاق سراحهما.

- على كلٍّ ماذا كانت تقول تلك المرأة؟ بإذن الله القهّار، فما هو الخطأ في هذا؟ لأنّه إذا أراد الله أمراً فلن يمكن حتى لصاحب الجلالة أن يمنعه.

- فعلاً، هذا هو الواقع!

عندها أمر الملك بإطلاق سراحهما.

استأنفت الخبّازتان مهنتهما. وبما أنّه لم يكن لهما مثيل في صنع الخبز، فقد رجع الزبائن القدامى في الحال. بل إنّ الملكة بالذات أرادت أن ترسل عجينها إليهما ليخبزا لها خبزها. وهكذا كان على

جميرة أن تصعد في كثير من الأوقات على درج القصر الملكيّ بقدميها الحافيتين الموحلتين. وكانت الملكة تسألها:

- جميرة، لماذا لا تغسلين وجهك؟

- صاحبة الجلالة، إنّ بشرتي ناعمة والماء يتلفها.

- جميرة، لماذا لا تمشّطين شعرك؟

- صاحبة الجلالة إنّ شعري ناعم والمشط يقتلعه.

- جميرة، لماذا لا تشترين حذاء لك؟

- صاحبة الجلالة إنّ قدميَّ ناعمتين والحذاء يؤذيهما.

- جميرة، لماذا تقول لك أمّك: - يا هالة شمس النهار؟

- سأصبح ملكة بإذن الله القهّار!

كانت هذه تسلية الملكة، وكانت جميرة تذهب وعلى رأسها طبق فيه عجين القصر الملكيّ، وهي تضحك وتضحك. وما إن تراها الجارات:

- إنّها جميرة التي تبيض البيضة!

كانت القصّة تتكرّر كلّ ليلة. بينما كان الفضول يحفر كبد الجارات. وما إن يشاهدن ذلك البهاء الذي يشعّ ويسمن لازمة العجوز، حتى يجرين نحو الباب: ولم يعرفن ماذا يخترعن.

- أيّتها الخبّازتان، افعلا معروفاً وأعيراني المنخل،

فلقد أصاب ثقبٌ منخلي.

فتح جميرة الباب وتقدّم المنخل.

- وكيف! هل تجلسان في الظلام؟ على الرغم من أنّي رأيت الضوء عندما كنت أقرع على الباب.

- يبدو أنّه تهيّأ لك.

وصل الأمر إلى أسماع الأمير الذي بلغ من العمر ستة عشر عاماً. كان الأمير صلفاً ومتكبراً جداً. عندما كان يصادف جميرة على الدرج، الطبق على رأسها والسلّة على كتفيها، كان يلتفت إلى الجهة المقابلة لكي لا يراها. كان يشمئزّ منها. بل إنّه بصق مرّة عليها.

ذلك اليوم عادت جميرة إلى البيت وهي تبكي.

- ماذا حدث يا بنيّتي؟

- لقد بصق الأمير عليّ

- إنّها إرادة الله! إنّ الأمير سيّد!

أمّا الجارات فقد شمتن.

- لقد بصق الأمير عليها، هذا يليق بـ هالة الشمس!

قابلها الأمير مرّة أخرى على الدرج. وبدا له أنّ جميرة قد أصابته بطرف طبقها، فغضب وركلها. فتدحرجت جميرة على الدرج.

كيف تملك جميرة الآن الشجاعة على حمل

تلك المخبوزات إلى الملكة بعد أن تلوثت بالغبار وتشوّهت أشكالها؟

عادت جميرة إلى البيت وهي تبكي وتعضّ على أصابعها من شدّة الغيظ.

- ماذا حدث يا بنيّتي؟

- ركلني الأمير وقلب كلّ ما عندي.

- إنّها إرادة الله! إنّ الأمير سيّد!

ضاع عقل الجارات من شدّة الفرح:

- لقد ركلها الأمير، هذا ما تستحقّه هالة الشمس!

بعد سنوات قليلة فكّر الأمير بالزواج وأرسل في طلب يد ابنة ملك إسبانيا. لكنّ السفير وصل متأخراً جداً، لأنّ ابنة ملك إسبانيا تزوجت قبل يوم من وصوله. عندها قرّر الأمير أن يشنق السفير، لكنّ هذا استطاع أن يبرهن له على أنّ رحلته استغرقت نصف يوم أقلّ من غيره. عندها أرسله الأمير ليطلب يد ابنة ملك فرنسا. لكنّ السفير وصل متأخّراً جدّاً: لأنّ ابنة ملك فرنسا كانت قد تزوّجت قبلها بيوم. عندها قرّر الأمير أن يشنق ذلك الخائن الذي لا يصل أبداً في الوقت اللازم. لكنّ هذا استطاع أن يبرهن له أنّه وصل قبل يوم من كلّ الآخرين. عندها أرسله الأمير إلى الصدر الأعظم التركي ليطلب يد ابنته، لكنّ السفير وصل متأخّراً جداً: فابنة الصدر

الأعظم تزوّجت قبل وصوله بيوم.

فقد الأمير راحة البال واطمئنان القلب وصار يبكي. فوقف الملك والملكة وجميع الوزراء حوله:

- هل تنقصنا أميرات؟ هناك ابنة ملك إنكلترا: أرسل في طلب يدها.

انطلق السفير المسكين كالسهم وسار ليل نهار حتى وصل إلى إنكلترا. يا للقدر! حتى ابنة ملك إنكلترا تزوجت قبل وصوله بيوم. فتصوروا حال الأمير!

ذهب في يوم في رحلة صيد ليروّح عن نفسه.

لكنّه ضاع في إحدى الغابات، جاب فيها وحيداً بعيداً عن أصحابه من غير أن يجد له مخرجاً. في النهاية وقبل حلول المساء اكتشف كوخاً صغيراً بين الأشجار، ورأى من خلال بابه المفتوح رجلا عجوزاً له لحية بيضاء طويلة، وكان قد أشعل النار ليحضر عشاءه.

- هل لك أيها الرجل الطيّب أن تدلّني على طريق أخرج بها من هذه الغابة؟

- آه، لقد وصلت أخيراً!

شعر الأمير بجلده يقشعرّ حين سمع ذلك الصوت الضخم المرعب.

- لكنّي لا أعرفك أيها الرجل الطيّب، إنّي أنا الأمير.

- أمير أو غير أمير، عليك أن تأخذ الفأس وتحتطب لي شيئاً من الحطب.

خشي الأمير ما هو أسوأ من ذلك، فبدأ يحتطب الحطب.

- أمير أو غير أمير، عليك أن تأتي بالماء من النبع.

خشي الأمير ما هو أسوأ من ذلك، فحمل الجرّة على كتفه وتوجّه نحو النبع.

- أمير أو غير أمير، عليك أن تعدّ لي المائدة.

خشي الأمير ما هو أسوأ من ذلك، فأعدّ مائدة الطعام، وعندما انتهى من الأكل أعطاه العجوز بقايا الطعام.

- استلقِ، هذا مرقدك.

اضطجع الأمير المسكين على شيء من الفضلات، لكنّه لم يتمكّن من النوم.

كان ذلك العجوز هو الساحر بعينه، وهو صاحب الغابة أيضاً. كان لا يخرج من الكوخ حتى يحيطه بسور مسحور، وبهذا بقي الأمير سجيناً لديه وعبداً له.

في هذه الأثناء بدأ الملك والملكة يبكون عليه على أساس أنّه مات، بل ارتديا أيضاً ملابس الحداد. لكن ذات يوم، ولا أحد يدري كيف كان ذلك، وصل خبر يقول إنّ الأمير أصبح عبداً سجيناً لدى الساحر. وفي الحال أرسل الملك

مبعوثيه.

- لك كلّ ثروات المملكة إذا أطلقت سراح ابنه!

- أنا أغنى منه!

لدن سماعه جواب الساحر استاء الملك وفزع، ثمّ أرسل مبعوثيه من جديد.

- ماذا يريد؟ فليتكلّم: الملك على استعداد لأن يهب دم شرايينه.

- أريد لكي أطلق سراح الأمير رغيفي خبزٍ تعجنهما وتخبزهما الملكة بيديها.

- آه، حسناً، هذا سهلٌ هيّن!

نخلت الملكة الطحين وعجنته وقرّصت رغيفين على الشكل الذي يريده الساحر، ثم أشعلت الفرن بيديها وخبزتهما. لكنّها لم تكن تحسن هذا العمل فاحترق الرغيفان.

ما إن رآهما الساحر حتّى كشّر أنفه.

- هذا خبز جدير بالكلاب.

ورماهما لكلبه الدرواسيّ الضخم.

عادت الملكة وجرّبت من جديد، ثمّ أعادت التجربة، لكنّ خبزها كان يخرج دائماً من الفرن إمّا محروقاً أو غير ناضج. وهكذا بقي الأمير المسكين عبداً لدى الساحر.

جمع الملك مجلس أعيانه.

- يا صاحبِ الجلالة المقدّس، قال وزير من الأعيان، فلنرَ إذا كان ذلك الساحر يتنبأ الغيب. على الملكة أن تنخل الطحين وتعجنه وتقرص الرغيفين على الشكل المطلوب، أما لإشعال الفرن وخبز الخبز فسنستدعي جميرة!

- جيّد، رائع!

وهكذا فعلوا. لكنّ الساحر كشّر أنفه:

- أرغفةٌ عِجاف، لخلف الأكتاف!

ثمّ رماها لكلبه. لكنّه فهم أنّ جميرة قد وضعت يدها في الأمر.

- إذن – قال ذلك الوزير - لم يبقَ إلّا حلّ واحد.

- ما هو؟ سأله الملك.

- تزويج الأمير بجميرة، وهكذا سيحصل الساحر على الخبز منخولاً ومعجوناً ومخبوزاً بيدي الملكة، فيصبح الأمير حرّاً طليقاً.

- هذه هي بالفعل إرادة الله. أجاب الملك.

- ملكةٌ بإذن القهّار، يا هالة شمس النهار!

صدر أمر ملكيّ بتسمية الأمير وجميرة زوجين. حصل الساحر على رغيفين من الخبز منخولين ومعجونين ومخبوزين بيد الملكة، فأطلق سراح الملك الصغير.

فلنأتِ الآن عليه هو، لأنّه لم يرد البتّة أن يقبل

بالأمر.

- كيف يتّخذ زوجاً من كومةِ الزبل تلك؟ هل تصبح تلك الخبّازة ملكة؟

- لكنّ أمراً ملكيّاً صدر...

- أجل، لكنّ الملك أصدره ويمكن للملك أن يلغيه!

أصبحت جميرة ملكة صغيرة وذهبت لتعيش في القصر الملكيّ. لكنّها لم تقبل أن تغتسل ولا أن تغيّر ملابسها ولا أن تنتعل حذاء.

- لا أغتسل حتّى يأتي الأمير.

هل هذا ممكن؟ حبست نفسها في غرفتها بانتظار أن يأتي الأمير لزيارتها. لكن لم تكن هناك طريقة لإقناعه.

- تلك الخبّازة تثير قرفي! أفضّل أن أموت على أن أتزوّجها!

- عندما نقلوا لها كلامه غرقت جميرة في الضحك:

- سيأتي، لا تقلقوا، سيأتي.

- انظروا إذن كيف أنّي سآتي.

انطفأ النور في عينيّ الأمير، فامتشق خنجره وجرى نحو غرفة جميرة ليقطع رأسها. كان بابها مغلقاً. فنظر الأمير من خلال ثقب المفتاح فسقط الخنجر من يده. فقد رأى في الداخل جمالاً لم يرَ

مثله، هالة شمس حقيقيّة!

- افتحي، يا مليكتي، افتحي الباب!

لكنّ جميرة بدأت تتهكّم عليه من خلف الباب:

- كومة زبل!

- افتحي يا مليكة روحي!

فضحكت جميرة قائلة:

- أيّتها الخبّازة القبيحة!

- افتحي الباب يا جميرتي!

عندها فتح الباب وتعانق الزوجان.

عقدت أفراح العرس في تلك الليلة، وعاش الأمير وجميرة حياة طويلة، فرحين وسعيدين...

أمّا نحن فلنلعق إصبعين.

برتقال من ذهب

يحكى أنّه كان هناك ملك،

أنشأ هذا الملك خلف قصره الملكي حديقة رائعة.

لم يكن هناك صنف من الشجر إلّا وفي تلك الحديقة شجرة منه.

لكنّ أثمن شجرة كانت من أندر صنف، أي إنّها الشجرة التي تنبت برتقالاً من ذهب.

عندما كان يحلّ موسم البرتقال، كان الملك يضع حارساً يحرس البستان ليل نهار، بل كان

يأتي كلّ صباح ليرى بأمّ عينه إذا كانت الشجرة قد نقصت ولو ورقة واحدة.

ذهب في أحد الأيام إلى الحديقة فرأى أنّ الحارس نائم. نظر إلى الشجرة... لقد اختفت من عليها ثمار البرتقال الذهبيّة!

- أيّها الحارس البائس المغفّل، رأسك سيكون الثمن.

- يا صاحب الجلالة، لم يكن الذنب ذنبي. لقد جاء حسّون وحطّ على غصن من أغصان الشجرة وبدأ يغرد. غرّد وغرّد وغرّد حتى ثقل جفناي. طردته عن ذلك الغصن، لكنّه طار وحطّ على غصن آخر حيث غرّد وغرّد وغرّد فلم أتحمّل من شدّة النعاس. فطردته من هناك أيضاً. عندما كان يتوقّف عن التغريد كان النعاس يتلاشى من عيني. لكنّه حطّ على قمّة الشجرة فغرّد وغرّد وغرّد... فنمت حتى الساعة.

لم يصبه الملك بأذى.

لكنّه سلّم الحراسة في الموسم الجديد للأمير بالذات.

ذهب صباح يوم إلى الحديقة فرأى أنّ الأمير نائم. نظر إلى الشجرة فرأى أنّ ثمار البرتقال الذهبيّة لم تعد موجودة!

من يتصور مقدار غضبه!

- كيف؟ هل أخلدت إلى النوم أنت الآخر؟

- يا صاحب الجلالة، ليس لي في الأمر أيّ ذنب. لقد جاء حسون، حطّ على غصن وبدأ يغرد. فغرّد وغرّد وغرّد حتى ثقل جفناي. قلت له: أيها الحسون الخائن، لن تنجح حيلتك مع الأمير! فبدأ يسخر منّي: سينام الأمير! سينام الأمير! أيها الحسون الخائن، لن تنجح حيلتك مع الأمير! فبدأ يسخر منّي: إلى النوم يا أمير! إلى النوم يا أمير! فغرّد وغرّد وغرّد... فنمت حتى الساعة.

أراد الملك أن يجرّب بنفسه، عندما حلّ الموسم قام هو بالحراسة. ما إن نضج البرتقال حتى جاء الحسون، حطّ على الغصن وبدأ يغرد. أراد الملك أن يصيبه لكنّ الظلام صار حالكاً كما في قعر الوديان، وشعر برغبة كبيرة بأن ينام!

- أيّها الحسّون الخائن لن تفلح هذه المرّة! لكنّه كان يجد صعوبة في إبقاء عينيه مفتوحتين.

بدأ الحسّون يسخر منه:

- بس س! بس س! الملك ينام!

فغرّد وغرّد وغرّد حتّى نام الملك بدوره، كأنّه زغبة (2) صغيرة.

فتح عينيه في الصباح فلم يجد ثمار البرتقال الذهبية!

عندها أعلن في جميع أنحاء المملكة:

- من يأتني بذلك الحسّون حيّاً أو ميتاً ينل جائزة كبيرة: بغلاً محمّلاً بالذهب.

مرّت ستة أشهر ولم يرَ أحداً.
في النهاية تقدّم فلّاح رثّ المظهر والثياب:
- يا صاحب الجلالة، هل تريد حقّاً ذلك الحسّون؟ عدني بيد الأميرة وسيكون الحسّون بين يديك خلالَ ثلاثة أيّام.
فما كان من الملك إلّا أن أمسك به من كتفيه وألقاه على الباب.
لكنّه عاد في اليوم التالي:
- يا صاحب الجلالة، هل تريد حقّاً ذلك الحسّون؟ عدني بيد الأميرة وسيكون الحسّون بين يديك خلال ثلاثة أيّام.
أمسك به الملك من كتفيه وركله وألقى به على الباب.
لكنّ ذلك العنيد عاد في اليوم التالي.
- يا صاحب الجلالة، هل تريد حقّاً ذلك الحسّون؟ عدني بيد الأميرة وسيكون الحسّون بين يديك خلال ثلاثة أيّام.
غضب الملك ونادى على الحرس فقادوه إلى السجن.
كما أمر بإحاطة الشجرة بشبكة من حديد، ولا حاجة للحرس بعدها بوجود تلك الشبكة الغليظة. عندما نضجت ثمار البرتقال ذهب إلى الحديقة... لكنّ ثمار البرتقال الذهبيّة لم تكن موجودة.

تصوّروا غضبه! رأى أنّه لا بُدَّ من الاتّفاق مع ذلك الفلّاح.

- ائتني بالحسّون حيّاً ولتكن الأميرة لك.

- يا صاحب الجلالة، خلال ثلاثة أيّام.

عاد قبل مرور الأيّام الثلاثة.

- يا صاحب الجلالة، ها هو. ليَ الآن الأميرة.

تجهّم وجه الملك، فهل يقدّم الأميرةَ لذلك البائس الفقير؟

- هل تريد الجواهر؟ هل تريد الذهب؟ ستملك منها ما تريد. أمّا عن الأميرة فطهّر فمك قبل أن تذكرها.

- كان هذا هو العهد يا صاحب الجلالة.

- هل تريد الجواهر؟ هل تريد الذهب؟

- احتفظ بكلّ هذا. وسيكون ما يكون!

ثمّ خرج وذهب.

قال الملك للحسّون:

- إنّك الآن بين يديّ وسأعذّبك.

بدأ الحسّون يزعق كلّما نتفوا منه ريشة.

- أين وضعت ثمار البرتقال الذهبيّة؟

- يا صاحب الجلالة، إذا تركت تعذيبي فسأخبرك.

- لن أؤذيك ثانية.

- ثمار البرتقال الذهبيّة موضوعة داخل مغارة الأبواب السبعة. لكنّ التاجر ذا القبّعة الحمراء يقف حارساً على المغارة. لا بد من معرفة كلمة السرّ، ولا يعرفها إلّا اثنان: التاجر وذلك الفلّاح الذي أسرني.

أرسل الملك في طلب الفلّاح.

- فلنعقد عهداً جديداً: أريد أن أدخل إلى مغارة الأبواب السبعة ولا أعرف كلمة السر. إذا أعلمتني بها، ستكون لك الأميرة.

- كلمة ملك؟

- كلمة ملك!

- هذه هي كلمة السرّ يا صاحب الجلالة:
نشّف، نشّف، افتح وكشّف.

- حسناً!

ذهب الملك ولفظ كلمة السرّ ففتحت المغارة، وبقي الفلّاح ينتظر خارج المغارة.

كانت قطع الألماس المنثورة على أرض المغارة تبهر الأنظار. وجد الملك أنّه وحيد في ذلك المكان، فانحنى وملأ منها جيوبه. لكنّه وجد في الغرفة المجاورة أكواماً من قطع ألماس أكبر وأجمل. فأفرغ الملك جيوبه من تلك وعاد ليملأها من هذه. وهكذا فعل حتى وصل إلى آخر غرفة فوجد أنّ ثمار البرتقال الذهبيّة التي كانت في الحديقة الملكيّة مكوّمة في إحدى زواياها.

وجد هناك خرجاً فملأه وفكّر أنّه سيعود مراراً بما أنّه عرف كلمة السرّ.

عندما خرج وهو يحمل الغنيمة على كتفه وجد الفلّاح بانتظاره.

- يا صاحب الجلالة، الأميرة هي لِيَ الآن.

تجهّم وجه الملك، فهل يقدّم الأميرة لذلك البائس الفقير؟

- اطلب ما تشاء من نِعم. أمّا عن الأميرة فطهّر فك قبل أن تذكرها.

- وعهدك يا صاحب الجلالة؟

- الكلام تذروه الرياح.

- سترى النتيجة عندما تصل إلى القصر.

وصل إلى القصر، فوضع الملِك الخرج عن كتفه وعندما بدأ بتفريغه وجد ثمارَ برتقالٍ متعفّنة بدل الثمار الذهبيّة.

وعندما وضع يديه في جيبه تحوّلت قطع الألماس إلى أصداف بزاق!

- آه! لقد فعلها ذلك الفلّاح اللعين!

لكنّ الحسّون دفع الثمن.

فعاد إلى تعذيبه.

- أين هي برتقالاتي الذهبيّة؟

- إذا تركت تعذيبي فسأخبرك يا صاحب

الجلالة.

- لن أؤذيك ثانية.

- إنّها في المكان الذي رأيتها فيه، لكن إذا أردت أن تأخذها من جديد فعليك أن تعرف كلمة سرّ جديدة لا يعرفها إلّا اثنان التاجر وذلك الفلّاح الذي أسرني.

أرسل الملك في طلبه:

- فلنعقد عهداً جديداً، أخبرني بكلمة السرّ لأستعيد ثمار البرتقال الذهبيّة فتكون الأميرة لك.

- كلمة ملك؟

- كلمة ملك!

- هذه هي كلمة السرّ:

هاتِ العظام ولك الوسام.

- حسناً.

ذهب الملك، ثمّ ذهب وعاد مراراً بالخرج معبأً بالبرتقال الذهبي، وذلك حتّى أعاد كل ثمار البرتقال الذهبية إلى قصره.

عندها حضر الفلّاح:

- صاحب الجلالة، الأميرة هي لِيَ الآن.

تجهّم وجه الملك، فهل يقدّم الأميرة لذلك البائس الفقير؟

- ذلك هو الكنز الملكيّ، خذ منه ما شئت. أمّا عن الأميرة فطهّر فك قبل أن تذكرها.

- فلننسَ الموضوع!

خرج وذهب.

وسنة بعد أخرى، بقيت ثمار البرتقال الذهبيّة على شجرتها، ذلك منذ أن وضع الحسّون في القفص.

ذات يوم قالت الأميرة للملك:

- أريد يا صاحب الجلالة أن أضع الحسّون في غرفتي.

- خذيه يا بنيّتي إذا شئت، لكن احذري أن يهرب.

انقطع الحسّون في غرفة الأميرة عن الغناء.

- لماذا انقطعت عن الغناء أيّها الحسّون؟

- لأنّ سيّدي وصاحبي يبكي.

- ولماذا يبكي؟

- لأنّه لم يحصل على ما يريده.

- وماذا يريد؟

- يريد الأميرة. يقول:

عملت الكثير، وذهب تعبي أدراجَ الأثير.

- من هو سيّدك وصاحبك؟ هل هو ذلك البائس الفقير؟

- أيّتها الأميرة، إنّ ذلك الذي تقولين عنه البائس الفقير هو ملك أكثر من صاحب الجلالة.

- إذا كان هذا صحيحاً فيمكن لي أن أتزوّجه. اذهب وأخبره بهذا، وعد بسرعة.

- هل تقسمين على ذلك؟

- أقسم.

فتحت له القفص، لكنّ الحسّون لم يرجع.

سأل الملكُ مرّةً الأميرة:

- لماذا لم يعد الحسّون يغرّد؟ منذ فترة لم أسمع صوته.

- إنّه مريض يا صاحب الجلالة.

هدأ هذا من روع الملك.

بينما بقيت الأميرة في كرب وضيق:

- أيّها الحسّون الخائن، تبّاً لك ولصاحبك!

اقترب موسم البرتقال، فأصبح قلبها ضيّقاً حرجاً من خشية أبيها.

جاء وقتها رسولٌ من عند ملك فرنسا يطلب يدها. فرح الأب كلّ الفرح وأجاب حالاً بالقبول. لكنّ الأميرة:

- لا أريد يا صاحب الجلالة أريد الزواج.

اشتد غضب الأب:

- كيف ترفضين الآن وقد أعطيت كلمتي ولا أستطيع أن أعصيها؟

- الكلام تذروه الرياح.

لم يتمكّنوا من ضبط الملك: كان الشرر يتطاير من عينيه. لكنّها بقيت على عنادها:

- لا أريده! لا أريده! لا أريد الزواج.

ساءت الأمور عندما أرسل ملك فرنسا يقول إنّه سيصل بعد ثمانية أيام.

فكيف إصلاح أمر تلك الابنة العاقّة العنيدة؟

عندما اشتدّ حنق الملك، قيّد يديها وقدميها ودلّاها في البئر:

- قولي نعم، وإلّا أغرقتُكِ!

بقيت الأميرة ساكتة، فأسقطها حتّى منتصفها.

- قولي نعم، وإلّا أغرقتك!

بقيت الأميرة ساكتة، فأسقطها أكثر فأكثر داخل الماء، حتّى لم يبقَ إلّا رأسها.

- قولي نعم، وإلّا أغرقتك!

وبقيت الأميرة ساكتة.

فهل كان ينوي بالفعل إغراقها؟

لا، لأنّه سحبها وسجنها في غرفة على الخبز والماء. كانت الأميرة تبكي:

- أيّها الحسّون الخائن، تبّاً لك ولصاحبك! ها أنذا أعاني من المصائب كي ألتزم بكلمتي!

وصل ملك فرنسا مع أتباع كثر، وأقام في القصر الملكي.

- والأميرة؟ ألا تريد أن تظهر؟

- إنّها مريضة بعض الشيء يا صاحب الجلالة.

شعر الملك بالحرج ولم يعرف غير هذا الجواب.

- أعطها هذه الهدية.

كانت علبة مليئةً بالذهب والألماس. لكنّ الأميرة ركنتها هناك، من غير أن تحاول فتحها. وكانت تبكي.

- أيّها الحسّون الخائن، تبّاً لك ولصاحبك!

- لسنا خائنيْن، لا أنا ولا صاحبي.

عندما سمعت الأميرة الجواب يأتي من داخل العلبة، فتحتها.

- آه، يا حسّوني الغالي! كم ذرفتُ من الدموع.

- هكذا هو قدركِ، لقد حقّ الآن القضاءُ.

عرف صاحب الجلالة من هو ذلك الفلّاح، فقدّم إليه مهراً تلك الشجرةِ التي تثمر برتقالاً من ذهب، في اليوم التالي تزوجت الأميرةُ ملك فرنسا.

أمّا نحن فلم يبقَ لنا إلّا حكّ البطون.

(1) - في الأصل Tizzoncino

(2) - الزغبة حيوان كالسنجاب، صغير الجسم.

ضُفيدع، الضفدع الصغير

رسم داليا مانزو Dalia Manzo

هذه قصّة حلوة: قصّة الضُّفَيْدع مدّاد الأُصَيْبِع. وستعرفون بعد قليلٍ سبب هذا القول.

يحكى إذن أنّه في مرة من المرّات كان هناك رجل يعيش كالشقيّ المسكين، لأنّ له سبعة أولاد ينهشون لحمه وهو حيّ يرزق. كان كبيرهم بعمر عشر سنوات بينما لم يبلغ الصغير سنتين.

استدعاهم الأب وجمعهم في مساء أمامه.

يا أولادي – قال لهم – منذ يومين ونحن لا نذوق ولا قطرة ماء. وإنّي لست أعرف من شدّة يأسي إلى أين أدير رأسي. فهل تعرفون بماذا فكرت؟ فكّرت أن أستعير حمار جارنا في الغد، لأحملكم عليه بالسلال وأجول بكم لأبيعكم.

وسنرى إذا كان بعض الحظّ سيحالفكم.
بدأ الأطفال يصرخون لأنّهم لا يريدون أن يباعوا، لا! إلّا ابن السنتين فلم يكن يصرخ.
- وأنت أيّها الضفيدع؟ سأله أبوه الذي لقّبه بذلك اللقب لأنّه كان صغيراً كالضفدع الصغير – أنا سعيدٌ بذلك – أجاب.
في الصباح حمله ذلك الشقيّ المسكين على كتفه وبدأ يجوب في أنحاء المدينة.
- من يشتري منّي ضفيدعاً! من يشتري ضفيدعاً!
لكنّ أحداً لم يتقدّم لشراء ذلك الشيء التافه الصغير!
أطلّت من النافذة الأميرةُ ابنة الملك.
- ماذا تبيع أيّها الرجل؟
- أبيع هذا الطفل، من يريد أن يشتريه؟
نظرت إليه ابنة الملك، كشّرت وأغلقت النافذة في وجهه.
- نعمة كبيرة! قال ذلك الشقيّ المسكين. وواصل صياحه وزعيقه: - من يشتري مني ضفيدعاً! من يشتري مني ضفيدعاً!
لكنّ أحداً لم يتقدّم لشرائه، ذلك الشيء التافه الصغير!
لم يملك الشقيّ المسكين الشجاعة ليعود إلى البيت حيث كان بقيّة الأولاد ينتظرونه كما تنتظر

الأرواح في المطهر، أي أمواتاً من شدّة الجوع.
أمّا ضفيدع فقد أخلد إلى النوم وهو على كتف أبيه.
لذلك فقد فكّر أنّ قتله سيكون أفضل من مشاهدته وهو يتعذّب. كما أنّ بودّه أن يقتلهم جميعاً أولئك الأولاد، واحداً تلو الآخر، لكنّه سيبدأ الآن بهذا الصغير!
كان قد حلّ المساء، وكان قد خرج من المدينة وانتهى به الأمر إلى مغارة لا يراه فيها أحد. وضع الطفل على الأرض وهو نائم مطمئن، وبدأ في البكاء عليه قبل أن يقتله.
- آه يا قلبي الصغير!
- كيف أقتلك بيديّ هاتين، كيف أقتلك!
- آه يا ضفيدعي!
- آه يا قلبي الصغير!
- من كانت الجنّية الساحرة التي كانت تغنّي لك وأنت في المهد، من كانت؟
- آه يا ضفيدعي!
- ولن أراك ثانية وأنت تجوب البيت، لا لن أراك!
- آه يا قلبي الصغير!
- من كانت الجنّية الساحرة التي كانت تغنّي لك وأنت في المهد، من كانت؟

- آه يا ضفيدعي!

- كيف أقتلك بيديّ هاتين، كيف أقتلك!

انفطرت كلّ القلوب، حتّى قلوب الأحجار.

- ماذا حدث؟ من الذي يبكي وينوح؟

التفت الشقيّ المسكين فرأى عجوزاً جالسة قرب باب المغارة تحمل عصاها في يدها.

- ماذا حدث! عندي سبعة أولاد صغار يموتون كلهم من الجوع، قرّرت أن أذبحهم كي لا أراهم يتعذّبون، وسأبدأ بهذا.

- ما هو اسمه؟

- اسمه بيبّه، لكننا ندعوه الضفدع الصغير، أيّ ضفيدعاً.

- فليكن ضفيدعاً إذن؟

ما كادت العجوز تلمس بعصاها الطفل الصغير حتّى تحوّل إلى ضفيدع يتواثب يمنة ويسرة.

اعترى الأب الخوف والفزع.

- تشجّع! قالت له العجوز، فتّش في تلك الزاوية، فيها بعض الخبز والجبن، كلوا منها هذا المساء. وانتظرني غداً عند الظهيرة تحت نوافذ القصر الملكيّ، هناك ستبدأ سعادتك.

بدأ الأولاد يصرخون عندما رأوا أباهم يعود بلا أخيهم.

- اسكتوا! ها كم الآن خبزاً وجبناً.

- لكن أين ضفيدع؟
- مات!
قال هذا لكيلا يزعجوه.
في اليوم التالي ذهب قبل الساعة المحدّدة ليقف تحت نوافذ القصر الملكي. انتظر وانتظر لكنّ العجوز لم تظهر. كانت ابنة الملك على إحدى النوافذ تمشط شعرها. عرفته وسألته بسخرية:
- يا ذاك الرجل، هل اشتروا منك ضفيدعاً؟
قبل أن يجيبها ظهرت العجوز ووراءها جمعٌ من الناس. كان الناس يستمعون فقالت وهي في وسطهم:
- ضفيدع، مدّ الأصيبع!
فمدّ الضفدع الصغير قائمته وناول إصبعه للعجوز. لكنّ محاولات الآخرين ذهبت عبثاً عندما قالوا له: - ضفيدع، مدّ الأصيبع! فكأنّه لم يسمع منهم شيئاً. إنه أمر رائع لم يروا مثيلاً له من قبل. وهكذا بدأ الجميع يدفعون النقود.
دعت الأميرةُ العجوزَ إلى تحت نافذتها، لترى الأمر عن قرب.
- ضفيدع، مدّ الأصيبع!
سحرها المنظر فذهبت إلى الملك.
- إذا كنت تحبّني يا أبتِ فعليك أن تشتري لي ذلك الضفدع الصغير.

- وماذا تفعلين به؟

- سأربّيه في جناح قصري وأتسلّى به.

طاوعها الملك.

- كم تريدين أيتها المرأة الصالحة ثمناً لهذا الضفدع الصغير؟

- إنّي أبيعه يا صاحب الجلالة بوزنه ذهباً، فهذا ثمنه.

- إنّك تمزحين يا عجوزي.

- أقول جادّة. غداً سيتضاعف ثمنه. - ضفيدع، مدّ الأصيبع!

مدّ الضفدع الصغير قائمته وناول إصبعه للعجوز. لكن حاول الآخرون عبثاً عندما أمروه: - ضفيدع، مدّ الأصيبع! فكأنّه لم يسمع منهم شيئاً.

- هل ترين؟ قال الملك للأميرة. لا نفع له من غير العجوز.

لم تتنازل الأميرة.

- ضفيدع، مدّ الأصيبع!

وثب ضفيدع وحيّاها أفضل تحيّة ومدّ أصبعه.

لا بُدّ إذن من شرائه وإلّا فلن تسكت الأميرة.

وضعوا ضفيدعاً في كفّة الميزان وبدؤوا يضعون في الكفّة الأخرى قطعة ذهب وراء قطعة ذهب، لكنّه لم يستقم وزن للميزان. فهل من الممكن أن يكون ضفيدع بهذا الثقل؟ أثقلوا الكفّة حتّى

غمروها لكنّها لم تصل لأن تعادل الأخرى. خلعت الأميرة والملكة قرطيهما ثمّ خاتميهما ثمّ أساورهما ووضعوها في الميزان. على الإطلاق! خلع الملك نطاقه وكان من الذهب الخالص ووضعه في الميزان. وعلى الإطلاق!

- سأضع الآن التاج، فماذا ستكون النتيجة يا ترى!...

عندها استقام الميزان ولم تنقص منه شعرة.

قلبت العجوز كومة الذهب في مئزرها وخرجت.

كان ذلك الشقيّ المسكين ينتظرها عند المخرج.

- خذ!

وملأت جيوبه.

- لكن احذر! أنفق ممّا لديك على هواك، أمّا التاج الملكيّ فإيّاك أن تبيعه، وإلّا فيا لمصيبتك!

كانت الأميرة تمضي يومها كلّه مع ضفيدع.

- ضفيدع! مدّ الأصيبع!

كان رائع الجمال، كانت تحمله في راحة يدها وتأخذه أينما ذهبت. وكان يأكل على مائدتها من طبقها نفسه.

- هذا غير لائق! قالت الملكة.

لكنّ الأميرة كانت ابنتهم الوحيدة وكانوا يغفرون لها كلّ نزواتها.

جاء وقت كان على الأميرة أن تذهب فيه إلى زوجها. وكان قد طلبها أمير البرتغال، وسرّ الملك والملكة لهذا أيّما سرور. أمّا هي فقد رفضت.

كانت تريد أن تتزوّج ضفيدعاً!

هل هذا ممكن؟ لكن لم يكن هناك طريقة لإقناعها.

- ضفيدع، ومِنْ سواه أفزع.

- سأتولّى أنا أمر هذا الضفيدع!

وهكذا أمسك الملك بساق ضفيدع وهمّ برميه على الأرض، عندها دخل من النافذة نسر فانقض وخطفه من يد الملك وطار به.

بدأت الأميرة تبكي ليل نهار. يا للفتاة المسكينة... كانت تثير الشفقة! وأصبح كلّ القصر في حداد.

بينما كانت الأيّام تتواصل في بيت ضفيدع بالأعياد، أنفقوا وأنفقوا، وفرشوا الموائد لأكثر الجيران، والدراهم تجري كالأنهار، حتى نضبت كلّها ولم يبقَ منها فلس.

- بابا، لنبع إذن تاج الملك.

- ليس لنا أن نلمس تاج الملك.

وهكذا عاد ذلك الشقيّ المسكين إلى العجوز وبدأ يبكي.

- وما الذي جرى الآن؟

- أمّاه، لقد نفدت النقود لذلك فإنّ الأولاد يريدون أن يبيعوا تاج الملك، لكنّي لم أسمح لهم.

- فتّش في تلك الزاوية ستجد خبزاً وجبناً. وانتظرني في الغد عند الظهيرة تحت نوافذ قصر الملك، سيكون يوم حظّ لك.

عاد إلى البيت فوجد المأساة! وجد الأولاد الخمسة ممددين على الأرض، أمواتاً وسط بركة من الدماء، لكنّ أحدهم ما زال يتنفّس بالكاد:

- آه يا أبي، جاء نسر عظيم ونقر النافذة قائلاً: أروني يا أولاد تاج الملك. - لقد أغلق أبونا عليه بالمفتاح

- وأين وضعه؟.

- في هذا الصندوق. عندها بدأ ينقر الصندوق ليكسره. حاولنا جميعاً مقاومته، لذلك فقد قتلنا جميعاً.

نطق بهذه الكلمات ومات.

انتصب شعر ذلك الشقيّ المسكين. فأولاده ماتوا وتاج الملك اختفى!

عندما رأى العجوز في اليوم التالي أخبرها بكلّ شيء.

- اترك الأمر لي! قالت له.

كانت الأميرة مريضة جداً، واحتار الأطبّاء في أيّ علاج يعتمدون.

واشتدّ اليأس بالملك:

- كيف لي أن أحصل على ذلك الضفيدع اللعين؟ لا بدّ أنّ النسر قد هضمه منذ وقت طويل.

ظهرت العجوز:

- صاحب الجلالة، بوسعي أنا أن أجد لكم ضفيدعاً، لكنكم بحاجة إلى مقدار كبير من الشجاعة.

- إنّي مستعدّ لأن أتقطّع إرباً إرباً، أجاب الملك.

- هاتِ إذن سكّيناً من الألماس، وأفضلَ ثورٍ في القطيعِ، وحبلاً طوله ميل، وتعال معي.

أحضر الملك سكّيناً من الألماس، وأفضلَ ثورٍ في القطيع، وحبلاً طوله ميل وانطلق بصحبة العجوز. يجب ألّا يتبعهما أحد.

سارا ليومين، في اليوم الثالث، قرب المغيب، وصلا إلى سهل. كان هناك برج مسحور ليس له أبواب ولا نوافذ، يبلغ ارتفاعه ميلاً.

- إنّ ضفيدعاً هناك – قالت العجوز – تلك الطيور التي تحوم حول القمّة هي التي تعتقله. لا بدّ من الصعود إلى القمّة.

- وكيف؟

- صاحب الجلالة، اذبح الثور وسترى.

ذبح الملكُ الثورَ.

- صاحب الجلالة، اسلخه واترك كثيراً من اللحم ملتصقاً بجلده.

سلخه الملك وترك كثيراً من اللحم ملتصقاً بجلده.

فلنقلب الآن هذا الجلد - قالت العجوز - سأضمك داخله وأخيطه عليك. ستجد أنّ تلك الجوارح ستحطّ وتحمله إلى القمّة. في الليل عليك أن تشق الجلد بسكّين الألماس. أمّا في الصباح فعندما يطير النسر والجوارح إلى الصيد، عليك أن تعلّق الحبل على القمّة وبعد أن تأخذ ضفيدعاً وتاج الملك، تضع السكّين بين أسنانك ثمّ تهبط إلى الأسفل.

تردّد الملك:

- وإذا انقطع الحبل؟

- لن ينقطع الحبل طالما السكّين بين أسنانك.

قَبِلَ الملك حبّاً بابنته أن يخاط عليه داخل الجلد. لجاءت الجوارح في الحال وأمسكت الطريدة بمخالبها وحملتها إلى الأعلى.

في الليل شقّ الملكُ الجلدَ بسكّين الألماس وذهب ليختبئ في غرفة صغيرة. عند الصباح انتظر حتى ذهب النسر والجوارح إلى صيدهم فعلّق الحبل على قمّة البرج وأخذ ضفيدعاً والتاج الملكيّ وتهاوى إلى الأسفل.

والسكّين؟ نسي السكّين.

لذلك فقد بدأ الحبل يترنّح ويقول:

- أي، أي، إنّي أنشقّ. بلّلوني بالماء.

ما هو الحلّ؟ عضّ الملك شريانه وترك دمه ينفر على الحبل، بينما كان يهبط إلى الأسفل.

لكنّ الحبل عاد ليصرخ من جديد:

- أي، أي، إنّي أنشقّ. بلّلوني بالماء.

عضّ الملك شريان ذراعه الأخرى وترك دمه ينفر على الحبل، بينما كان يهبط إلى الأسفل.

لكنّ الحبل عاد ليصرخ من جديد:

- أي، أي، إنّي أنشقّ. بلّلوني بالماء.

عندما رأى الملك أنّه لم يبقَ إلّا القليل لبلوغ الأرض قال:

- بوسعك الآن أن تنشقّ!

وقد انشقّ بالفعل. فسقط الملك، لكنّه نجا لحسن حظّه ولم تصبه إلّا بعض الكدمات. أمّا جروح ذراعيه فقد وجدت العجوز أعشاباً طبّبتها بها، فشفيت في لحظة.

ما إن رأت الأميرة ضفيدعاً حتّى انتعشت وعادت الحياة إليها.

- ضفيدع، مدّ الأصيبع!

أراد الملك أن ينتهي من القصّة ويقيم حفل الزفاف في الحال. لكن العجوز قالت له:

- يجب الانتظار شهراً آخر. أمّا الآن فعليكم تحضير مرجل زيت يغلي.

- ولماذا؟

- ستعرفون فيما بعد.

عندما حلّ النهار وغلى الزيت في المرجل جاءت العجوز ووراءها ذلك الشقي المسكين ومعه عربة تمدّدت عليها جثث أولاده الستة.

- أيّتها الأميرة – قالت العجوز – هل تريدين الزواج بضفيدع؟ إذن يجب أخذه من قدمه وتغطيسه ثلاث مرّات في ذلك الزيت.

تردّدت الأميرة.

- غطّسوني، غطّسوني! قال لها ضفيدع.

غطّسته ساعتها. مرّة، مرّتين، لكنّه أفلت في الثالثة من يدها وسقط أمام المرجل، فأغمي على الأميرة.

أراد الملك قتل العجوز، لكنّ هذه أمسكت بسرعة بأولئك الأموات وأسقطتهم في الزيت المغلي، ثمّ بدأت تحرّكهم بعصاها وهي تغنّي:

- ضفيدع يا نطّاط، سيتواثبون كالمطّاط.

وفي الواقع فها هو الابن الأكبر يثب وهو حيّ يرزق، الأول.

- ضفيدع يا نطّاط، سيتواثبون كالمطّاط.

واصلت التحريك. وها هو الثاني يثب أيضاً.

وهكذا فعل الإخوة الستة جميعهم.

- ضفيدع يا نطّاط، سيتواثبون كالمطّاط.

واصلت التحريك. فطفا ضفيدع على السطح ولم يثب.

ما إن رأته الأميرة حتّى حاولت التقاطه، لكنّ العجوز منعتها.

- هل تريدين أن تحترقي؟ عليك أن تفعلي كما كنت تفعلين.

- ضفيدع، مدّ الأصيبع!

مدّ ضفيدع إصبعه للأميرة، فهل تعرفون من الذي خرج؟ خرج شابّ رائع الجمال كأنّه قرص الشمس في السماء.

عرفت الأميرة فيه ذلك الطفل الذي كان ذلك الشقيّ المسكين يريد بيعه. فاعتذرت منه على ما بدر منها عندما أغلقت النافذة في وجهه. ومن الواضح أنّ ضفيدعاً كان قد سامحها.

أقيمت حفلات العرس البهيّة الرائعة، وعندما حان الوقت وضع ضفيدع تاج المُلك على رأسه.

يحبّونها نيّئة، أو يحبّونها مطبوخة. ومن لا يحبّها، فليرجمها ولو مجلوخة...

التي-بلا-أذنين

كان هناك ملك، وكان عنده طفلة.

كانت الملكة قد ماتت أثناء الولادة، فاتّخذ الملك مربيةً للصغيرة.

ذهبت المربّية في أحد الأيام مع الطفلة إلى الحديقة الملكيّة. كان عمر الطفلة ثلاث سنين وتحب أن تتنزّه فوق الأعشاب وتحت الأشجار الكبيرة الوارفة الظلال. عند منتصف النهار غلب المربّية النومُ. لكنّها عندما استيقظت لم تجد الأميرة. بحثت وفتّشت ونادت عليها في أرجاء الحديقة، أبداً! لقد اختفت الأميرة.

فكيف تجابه الملك الذي كان مجنوناً بتلك الابنة؟

أخذت المربّية المسكينة تضرب على صدرها وتنتف شعرها.

- يا إلهي! يا إلهي! لا بُدَّ أنّ صاحب الجلالة سيشنقني.

أسرع الحرس عند سماعهم زعيق المربّية.

بحثوا وفتّشوا بلا جدوى.

حان وقت الغداء.

- أين الأميرة؟ سأل الملك.

نظر الوزراء في عيون بعضهم بعضاً، كانت وجوههم ممتقعة وأشدّ بياضاً من قماشٍ مغسول.

- أين هي الأميرة؟

- صاحب الجلالة، قال أحد الوزراء، لقد وقعت مصيبة!

خرج الملك عن طوره بسبب الألم الشديد، وأعلن في الحال:

- من يعيد الأميرة، له أن يطلب أيّما مكرمة.

مرّت ستة أشهر ولم يظهر أحد في القصر الملكيّ.

- إن كان مسيحياً أو كان كافراً، من يعيد الأميرة، له أن يطلب أيّما مكرمة.

انقضت سنة ولم يظهر أحد في القصر الملكيّ.

كان الملك يبكي ليل نهار، بلا عزاء.

كان هناك بئر في حديقة الملك. عندما كانت المربّية نائمة اقتربت الأميرة من حافّة البئر وأطلّت.

كان سطح الماء كالمرآة فرأت الأميرةُ طفلةً مثلها فنادت عليها وهي تشير إليها بيديها:

-هيه! هيه!

عندها خرجت من أعماق البئر ذراعٌ طويلةٌ طويلة، كثيفة الشعر غليظة، فأمسكت بها وأسقطتها في البئر. وهكذا فإنّها عاشت لسنين كثيرة مع الرجل المذؤوب (١) الذي سحبها إلى البئر.

كان في قعر البئر مغارة أكبر من القصر الملكيّ

بعشر مرّات. كانت غرفها مصنوعة من الذهب والألماس، كلّ منها أحلى وأجمل وأثمن من الأخرى. وعلى الرغم من أنّ الشمس لا تدخلها فقد كانت الرؤية فيها واضحة. كانوا يعاملون الطفلة بما يليق بمقامها كأميرة. كان لها خادمة لخلع الثياب وأخرى لارتداء الثياب، وثالثة للحمام، وأخرى لتسريح الشعر وخادمة تحمل لها الإفطار وخادمة تخدمها على الغداء وأخرى لتضعها في السرير. تعوّدت على هذه الحياة ولم تتضايق منها.

كان الرجل المذؤوب يشخر طيلة النهار ويذهب عندما يحلّ الليل. وبما أنّ الطفلة كانت تصرخ من شدّة الخوف كلّما رأته فإنّه كان كثيراً ما يتغيب كي لا يخيفها.

كبرت الأميرة وأصبحت فتاة رائعة الجمال.

دخلت ذات ليلة إلى سريرها لكنّها لم تتمكّن من النوم. علمت أنّ المذؤوب يستعدّ للخروج فأصاخت السمع. كان يزعق بصوته الأجشّ ويقول:

- نادوا على الطبّاخ.

جاء الطبّاخ.

- أظنّ أنّ الوقت قد حان - قال له - تبدو لي الآن كأنّها طائر السلوى.

- يجب أن نتحقّق. أجاب الطبّاخ.

سمعت الأميرة أنّهما يديران بحذرٍ مقبضَ الباب.

- يا للهول! هل هما يتحدّثان عنّي؟ المذؤوب يريد أن يلتهمها.

لا بُدَّ أنّ جلدها قد اقشعرّ تكوّمت حتّى تضاءل حجمها وتصنّعت النوم. اقترب المذؤوب من سريرها وقلب الغطاء بحذر فأخذ الطبّاخ يعاينها من جميع أطرافها كأنّها دجاجة ستؤخذ إلى المسلخ.

- أسبوع آخر، وستصبح لقمةً شهيّة جديرةً بالملوك.

انتعشت الأميرة عندما سمعتْ هذا الكلام وشعرت بالحياة تعود إلى قلبها:

- بقيت ثمانية أيّام إذن، أوه، لن يلتهم المذؤوبُ طائرَ السلوى الذي زعم، لا، وألف لا!

فكّرت وأعادت التفكير حتّى راودتها فكرة. فما إن قفزت من السرير في الصباح حتّى اقتربت من فوهة المغارة داخل جسم البئر، وانتظرت حتّى يأتي الناس بِدِلائهم ليسحبوا الماء. عندما سمعت صرير البكرة ثمّ صوت ارتطام بالماء، أسرعت وتمسكت بالحبل وأسندت قدميها إلى حافّة الدلو. سحبوها ببطء لأنّها ثقيلة بعض الشيء. لكنّ الحبل انقطع فجأة فسقط الدلو وسقطت الأميرة!

هرعت الخادمات وسحبنها من الماء.

- لقد دخت وسقطت في الماء. لا تذكرن شيئاً مما حدث وإلّا فإن المذؤوب سيضربني.

ومرّ يوم.

في اليوم الثاني، انتظرت وانتظرت ولم يتدلَّ أي دلو. لا بدّ من إيجاد طريقة أخرى، لكن ما هي؟ وليس للمغارة إلّا ذلك المخرج.

ومرّ يوم آخر.

لم تفقد الأميرة الأمل. فما إن أصبح الصباح حتى كانت في الموقع. لكنّ دلواً لم يتدلَّ.

ومرّ يومان آخران.

جلست في الصباح وهي تحدّق في المياه وتبكي بدموع غزيرة، عندما رأت سمكة حمراء صغيرة كأنّها من ذهب ولها ذنب أبيض كالفضّة وعلى ظهرها ثلاث بقع سود.

- آه يا سمكتي الصغيرة، إنّك سعيدة! طليقة وسط المياه، بينما أنا هنا وحيدة، بلا أقارب ولا أصدقاء!

كانت السمكة تسبح على سطح الماء وهي تلوي ذنبها وتفتح فمها وتغلقه، يبدو أنها سمعتها.

- آه يا سمكتي الصغيرة، إنك سعيدة! طليقة وسط المياه، بينما أنا هنا وحيدة، بلا أقارب ولا أصدقاء! سيأكلني بعد أربعة أيّام!

اقتربت من الحافّة تلك السمكة الحمراء الصغيرة ذات الذنب الأبيض والبقع السود الثلاث على ظهرها:

- إذا كنتِ من دم ملكيّ وأردتِ أن تتزوّجيني فسنكون طليقين نحن الاثنين. هذا يكفي لفك السحر الذي أنا فيه.

- إنّي من دم ملكيّ أيّتها السمكة الذهبيّة، وأنا عروسك منذ هذه اللحظة.

- امتطي ظهري وتمسّكي بقوة.

امتطت الأميرة ظهر السمكة وتمسّكت بخياشيمها، فسبحت السمكة وسبحت حتّى وصلت إلى قعر البئر، حيث كان هناك نهر يجري تحت الأرض. سبحت السمكة الصغيرة مع التيار بينما بقيت الأميرة متمسكة بخياشيمها.

لكن ها هي الآن سمكة ضخمة تظهر على حين غرّة فاغرة الفم تريد ابتلاعهما.

- ادفعا رسم المرور وإلّا فلن تمرّا من هنا.

قطعت الأميرة أذنها ورمتها لها. سبحتا وسبحتا حتّى صادفتا سمكة أضخم يتكشّف فمها الفاغر عن غابة من الأسنان:

- ادفعا رسم المرور وإلّا فلن تمرّا من هنا.

قطعت الأميرة أذنها الأخرى ورمتها لها.

ما إن بدأ النهرُ يجري في الهواء الطلق، حتّى وضعت السمكة الصغيرة الأميرة قرب الشاطئ، فأصبحت بوثبة واحدة خارج الماء. عندها تحوّلت السمكة إلى فتى رائع الجمال تعلو فمه ثلاث شامات صغيرة. فقالت له الأميرة:

- فلنذهب إلى أبي الملك، إنّه لم يشاهدني منذ ثلاث عشرة سنة.

لكنّهما مُنعا من عبور بوّابة القصر الملكيّ.

- إنّني أنا الأميرة! أنا ابنة الملك!

لم يصدّقها أحد، ولا حتّى الملك. لكنّه أمر بإحضارها أمامه:

- من يدري؟ ربّما كان هذا صحيحاً!

نظر إليها الملك من رأسها حتّى أخمص قدميها، فصدّق وكذّب. حكت له قصّتها، لكنّها خجلت ولم تذكر له شيئاً عن أذنيها. خاصّة أنّها كانت تخفي العيب بجدائل شعرها.

لكنّ أحد الوزراء لاحظ الأمر.

- وأين أذنيك يا بنيّتي؟ أين أضعت أذنيك؟

اشتدّ سخط الملك فقضى عليها بغسل الأطباق والأواني في المطبخ الملكيّ. أمّا الأمير السمكة (كما سمّوه في الحال) فقد حكم عليه بتنظيف الحظائر.

- بهذا يتعلّمان كيف يسخران من الملك!

في يوم اشتهى صاحب الجلالة أكل السمك. لكنّهم لم يجدوا له في كلّ السوق إلّا سمكتين، لا يعرف مخلوق ما هو نوعهما، ولا حتّى السمّاكون. وكانتا قد زادتا عن سوق الأمس وبدأتا تفسدان. لكن بما أنّ الملك أراد أن يأكل السمك مهما

كلّف الأمر، لذلك فإنّ الطبّاخ اشتراهما.

- يا صاحب الجلالة لم نجد إلّا هاتين السمكتين، ولا أحد يعرف من أي نوع سمك هما، ولا حتّى السمّاكون عرفوا. وقد بقي لهما يومان في السوق وبدأتا تفسدان. – حسناً، قال الملك – خذهما إلى المطبخ.

بدأ الطبّاخ بشقّ السمكتين، فماذا وجد في الأحشاء؟ وجد أذنين لمخلوق إنسانيّ ما زالتا تدميان!

نادوا في الحال على التي-بلا-أذنين كما بدؤوا يلقّبونها.

- يا التي-بلا-أذنين، يا التي-بلا-أذنين، هذا شأنٌ يهمّك ..!

أسرعت الأميرة: فعرفت فيهما أذنيها. كانت ترتجف من شدّة الفرح خاصّة بعد أن وضعتهما على رأسها وتمكّنوا من لصقهما به. واستعملوا الدم كمادّة لاصقة.

سرعان ما تعرّف إليها الملك بعد أن استعادت أذنيها.

- إنّها هي، إنّها ابنتي!

أعلن الاحتفال لثمانية أيّام. ولأنّه شعر أنّه عجوز فقد رغب في التنازل عن الملك. وقد حكم الملك-السمكة والملكة التي-بلا-أذنين طويلاً بعد موته.

الورقة قصيرة والطريق طويلة، قولوا ما عندكم، فأقوالي كانت جميلة.

(٣) - أو الرجل المستذئب هو رجل بين الأسطورة والخيال يتّخذ صفات أو شكل الذئاب عند اكتمال القمر.

الرجل المذؤوب

كان هناك ذات مرّة ملك وملكة ولم يكن لهما أولاد، وكانا يتضرّعان إلى القدّيسين ليل نهار عسى أن يرزقا ولو بولد واحد. كانا يستشيران أيضا أطبّاء القصر.

- صاحب الجلالة افعل هذا، صاحب الجلالة افعل ذاك...

ثمّ هاكم أقراص من هنا وشراب من هناك، لكن، ليس للولد المطلوب أثر.

في صباح يوم جميل، بارد نوعاً ما، جلست الملكة أمام القصر الملكيّ لتتدفأ بأشعّة الشمس. مرّت من هناك عجوز من العجائز.

- أعطني صدقة!

تكاسلت تلك من مدّ يدها إلى جيبها فأجابت:

- لا أملك شيئاً.

فذهبت العجوز وهي تتذمّر.

- ماذا كانت تقول وهي تتذمّر. سألت الملكة.

- صاحبة الجلالة، قالت إنّك ستحتاجين إليها في يوم ما.

أرسلت الملكة بشخص وراءها ليستدعيها، لكنّ العجوز كانت قد اختفت وراء زاوية الطريق.

بعد ثمانية أيّام ظهر رجل غريب أراد أن يكلّم الملك سراً:

- صاحب الجلالة، عندي علاج لشفاء الملكة، لكن لنعقد العهود قبلها.

- أحسنت، فلنعقد العهود.

- إذا جاء الوليد صبياً فهو لكم.

- وإذا ولدت أنثى؟

- إذا ولدت أنثى فيجب أن تأخذوها عندما تبلغ السابعة من عمرها إلى أعلى ذلك الجبل وتتركوها هناك ولن تعرفوا عنها شيئا.

- سأستشير الملكة.

- يعني أنك لن تفعل شيئاً.

حُصِر الملك بين الباب والجدار فكان عليه أن يقبل. فسحب الغريب من جيبه زجاجة صغيرة لا تكاد تبين بين أصبعيه وقال:

- هذا هو العلاج. في هذه الليلة عندما تخلد الملكة إلى النوم عليك أن تصبّ داخل أذنها كلّ ما في الزجاجة. هذا يكفي.

وفي الواقع فبعد تسعة أشهر وضعت الملكة بنتاً جميلة. فانفجر الملك عندها في البكاء:

- يا بنتي المسكينة، يا لمصيرك الأسود! يا لمصيرك الأسود!

عرفت الملكة بهذا:

- صاحب الجلالة، لماذا كنت تبكي وتقول: يا بنتي المسكينة، يا لمصيرك الأسود!

- لا تلتفتي لهذا.

كبرت الأميرة وأصبحت أبهى من قرص الشمس في السماء، وجنّ الملك والملكة بها. عندما بلغت السابعة فقد الملك الطمأنينة وهو يفكّر كيف يقودها إلى قمّة الجبل ويتركها هناك ولا يعلم عنها أمراً. لكنّ هذا كان هو العهد ولا بد من احترامه.

يوم أكملت الأميرة السابعة قال الملك للملكة:

- سأذهب إلى الريف مع الطفلة، ونعود في المساء.

سارا وسارا حتّى بلغا سفح الجبل فتسلّقاه. لكنّ الأميرة لم تكن قادرة على التسلّق فوضعها الملك على ظهره.

- ماذا سنفعل يا أبتِ في الأعلى. فلنرجع إلى الوراء.

لم يجب الملك بل كان يشرب من دمعه الذي كان يجري على وجهه.

- ماذا سنفعل يا أبتِ في الأعلى. فلنرجع إلى الوراء.

لم يجب الملك بل كان يشرب من دمعه الذي كان يجري على وجهه.

لماذا أتينا إلى هنا يا أبتِ. فلنرجع إلى الوراء.

- اجلسي هنا، انتظري لحظة!

ثمّ تركها لمصيرها.

بدأت الملكة تصرخ عندما رأت أنّ الملك قد عاد وحده.

- وابنتنا؟ وابنتنا؟

- هبط نسر، تناولها بمخلبيه وطار بها.

- آه يا بنيّتي، هذا ليس صحيحاً!

- ثمّ انقضّ عليها حيوان مفترس وأخذها ليفترسها في الغابة.

- آه يا بنيّتي، هذا ليس صحيحاً!

- كانت تلعب على شاطئ النهر فغمرها تيّار الماء.

- هذا ليس صحيحاً ليس صحيحاً!

عندها قصّ الملك عليها القصّة بحذافيرها.

- فانطلقت الملكة كالمجنونة لتبحث عن ابنتها.

تسلّقت الجبل حتّى قمّته، بحثت، ونادت لثلاثة أيّام وثلاث ليالي، لكنّها لم تكتشف علامة تفيدها في شيء، فعادت حزينة يائسة إلى قصرها.

انقضت سبع سنين ولم يُعرف شيء عن الطفلة. في يوم أطلّت الملكة من الشرفة فرأت تلك العجوز التي كانت تبحث عنها تمشي في الطريق.

- أيّتها المرأة الطيّبة، أيّتها المرأة الطيّبة، تعالي إلى فوق.

- صاحبة الجلالة، إنّي اليوم على عجلة من أمري، سآتي في الغد.

استاءت الملكة... لكنها انتظرت العجوز على الشرفة في اليوم التالي طيلة الصباح، وما إن رأتها تمرّ:
- أيّتها المرأة الطيّبة، أيّتها المرأة الطيّبة، تعالي إلى فوق.
- صاحبة الجلالة، إنّي اليوم على عجلة من أمري، سآتي في الغد.
في اليوم التالي رأت الملكة أنّه من الأفضل أن تنتظرها أمام الباب.
- صاحبة الجلالة، إنّي اليوم على عجلة من أمري، سآتي في الغد.
لكنّ الملكة أمسكتها من يدها ومنعتها من الذهاب. على الدرج طلبت منها العفو لأنّها لم تعطها صدقة في المرة السابقة.
- أيّتها المرأة الطيّبة، أيّتها المرأة الطيّبة، ساعديني على إيجاد ابنتي!
- صاحبة الجلالة، وماذا يدريني أنا؟ لست إلّا امرأة فقيرة.
- أيّتها المرأة الطيّبة، أيّتها المرأة الطيّبة، ساعديني على إيجاد ابنتي!
- صاحبة الجلالة، أخبار سيّئة. الأميرة في يد رجل مذؤوب. وهو الشخص نفسه الذي أعطى العلاج وعقد العهد مع الملك. إنّه سيسألها

بعد شهر إذا كانت تقبل به زوجاً. إذا رفضت سيبتلعها في لقمتين. لا بد من تحذيرها.

- وأين يسكن هذا الرجل المذؤوب؟

- صاحبة الجلالة، تحت الأرض. يجب النزول لثلاثة أيام وثلاث ليالي بلا أكل ولا شرب ولا قسط من الراحة. يتم الوصول في اليوم الثالث. خذي سكّيناً صغيرة، وكبكوبة خيوط وحفنة قمح وتعالي معي. أخذت الملكة كلّ ما طلبته العجوز وانطلقت بصحبتها.

وصلا إلى حفرة لا يمكن السلوك فيها إلّا بصعوبة بالغة. وضعت العجوز طرف خيط على شتلة قربها، وقالت:

- من يزرع فليقطف، ومن يؤذك فليلطف.

ثمّ دخلتا. هبطتا وتابعتا الهبوط، فبدأت الملكة تشعر أنّ ركبتيها قد تحطّمتا.

- أيّتها العجوز، فلنأخذ قسطاً من الراحة!

- صاحبة الجلالة، هذا مستحيل.

هبطتا وتابعتا الهبوط ثمّ هبطتا، حتّى بدأت الملكة تتهاوى من شدّة الجوع.

- فلنتناول لقمة أيّتها العجوز، سيغمى عليّ من شدّة الجوع.

- صاحبة الجلالة، هذا مستحيل.

هبطتا وتابعتا الهبوط ثمّ هبطتا، حتّى بدأت

الملكة تنهار من شدّة العطش.

- أرجوك أيّتها العجوز، نقطة ماء!

- صاحبة الجلالة، هذا مستحيل.

خرجتا إلى سهل فسيح. انتهت كبكوبة الخيوط فعلّقت العجوز نهاية طرفها على نبتة وقالت:

- من يزرع فليقطف، ومن يؤذِك فليلطف.

- من يزرع يحصد، ومن يؤذِك فليقعد.

تقدّمتا إلى الأمام. كان على الملكة مع كلّ خطوة تخطوها أن تُسقِط على الأرض حبة قمح، بينما كانت العجوز تردد:

- قمحة، قمحةُ ربّ العالمين، كما زرعتِك فسأحصدكِ باليمين.

فنضج القمح، نمت سنابله وبدأت تتمايل.

- صاحبة الجلالة، اغرسي الآن السكّين في الأرض وابصقي ثلاث مرّات، لقد وصلنا.

غرست الملكة السكّين وبصقت ثلاث مرّات، فقالت العجوز:

- سكّين، سكّينُ ربّ العالمين، أنا غرستِك وسأنزعكِ باليمين.

لنترك هاتين الآن ونرجع إلى الأميرة.

عندما وجدت نفسها وحيدة على قمّة الجبل، بدأت بالصراخ والعويل، ثمّ أخذت الطفلة المسكينة إلى النوم. عندما استيقظت وجدت

نفسها في قصر كبير لكنّها لم تجد في كلّ غرفه وصالوناته نفساً حية. جالت وجالت حتى أنهكها التعب.

- يا أميرة اجلسي، اجلسي.

كانت الكراسي هي التي تكلمت!

جلست فشعرت بعد حين بشهيّة إلى الطعام، ظهرت حينها مائدة عامرة بأطباق من الطعام، ساخنة يتصاعد منها البخار.

- كلي يا أميرة، كلي!

كانت المائدة هي التي تكلمت!

أكلت وشربت فشعرت بعد قليل بنفسها تسترخي.

- نامي أيتها الأميرة، نامي!

كان السرير هو الذي تكلّم. يا للدهشة. وهكذا في كلّ يوم على هذا المنوال. لا ينقصها شيء أبداً. لكنها بدأت تسأم لأنّها لا ترى أمامها وجه إنسان. فكانت تبكي في كثير من الأحيان وهي تتذكّر أباها وأمّها، بل إنها أخذت في يوم تناديهما بصوت مرتفع بين شهقات البكاء:

- أبي! أمي! كيف لا يرقّ قلبكِ لتركي هنا وحيدة يا أمي!

لكنّ صوتاً خشناً نهرها قائلاً:

- اسكتي! هيّا اسكتي!

التمّت في الزاوية ولم تملك الشجاعة على أن تتنفس.

انقضى عام، فسمعت في يوم جميل من يسألها:

- هل تريدين أن تشاهديني؟

ولم يكن ذلك الصوت الخشن. فأجابت:

- بكلّ سرور.

ما هي إذن الأبواب تنفتح من تلقاء ذاتها، ويأتي من بين صفوف الغرف شيء أقصر من ذراع يرتدي قاشاً منسوجاً بالذهب ويعتمر طاقية حمراء عليها ريشة أطول منه.

- صباح الخير.

- صباح الخير يا طفلي الغالي، ما أجملك!

ثمّ أخذته بين ذراعيها وبدأت بتقبيله ومداعبته ورفعه في الهواء كأنّه دمية.

- هل تقبلين بي زوجاً؟ هل تريدين؟

ضحكت الأميرة:

- بلى إنّي أريدك.

رفعته مرّة أخرى في الهواء ثمّ تناولته بين يديها.

- ما هو اسمك؟

- كُرَيْع.

- وماذا تفعل هنا؟

- أنا صاحب البيت.

- إذن دعني أذهب، دعني أعدْ إلى بيتي!
- لا، أبداً، يجب أن تتزوّج.
- عليك أن تكبر أوّلاً!

استاء كويع وخرج. وانقضت سنة من غير أن يظهر. سئمت الأميرة من بقائها وحيدة من غير أن ترى وجه إنسان. فكانت كل يوم تنادي:

- كويع! كويع!

لكنّ كويعاً لا يجيب. في يوم سألها من جديد:

- هل تريدين أن تريني؟
- بكلّ سرور.

لا بدَّ أنه نما خلال تلك السنة. لكنّ الأبواب تشرّعت وخرج من بينها الشيء نفسه بطول مرفق اليد يرتدي قاشاً منسوجاً بالذهب ويعتمر طاقية عليها ريشة أطول منه.

- صباح الخير.
- صباح الخيرات.

دهشت الأميرة أيّما دهشة عندما وجدت أنّه على حاله. لكنّها تناولته من عنقها وأخذت بتقبيله ومداعبته ورميه في الهواء كأنّه دمية.

- هل تقبلين أن تتزوّجيني، هل تريدينني؟

ضحكت الأميرة:

- أريدك، أقبل. لكن عليك أن تكبر أوّلاً.

ورمته في الهواء ثمّ أخذته بين يديها. لكنّ كويماً استاء وخرج.

كلّ سنة على هذا المنوال، وانقضت سبع سنين على هذه الحال. أصبحت الأميرة أثناء ذلك فتاة يجب أن يكون للمرء أربع عيون لكي يتملّى جمالها. ذات ليلة لم تتمكّن من النوم، كانت تفكّر بأبيها وأمّها.

- من يدري إذا ما زالا يذكراني؟ ربّما ظنّا أنّي متّ!

بكت على وسادتها، لكنّها سمعت من يضرب نافذتها بالحصى.

- من يكون في مثل هذه الساعة.

شجّعت نفسها وقفزت من السرير وفتحت النافذة بتؤدة وسألت:

- من هناك؟ ماذا تريدون؟

- إنّي أنا يا بنيّتي. جئنا من أجلك!

كادت أن تقفز من النافذة لشدّة فرحها.

- اسمعي يا بنيّتي - قالت الملكة همساً - كويم ذاك هو الرجل المذؤوب. ظهر لك على ذلك الشكل لكيلا يخيفك. لكن بما أنّك أصبحت كبيرة فإنّه سيظهر لك الآن في شكله الحقيقيّ. فلا تخافي منه يا بنيّتي. فإذا ما سألك هل تقبلين بي زوجاً؟ فأجيبي بنعم، وإلّا حكم عليك بالموت ليلتهمك في لقمتين. سأراك في الليلة القادمة في

هذه الساعة بالذات.

في الصباح سمعت الأميرة الصوت المعهود:

- هل تريدين أن ترتني؟

- بكلّ سرور.

فتحت الأبواب، لكن عوضاً عن كويع ظهر الرجل المذؤوب طويلاً، ضخماً، كثيف الشعر، قبيح العينين كبير الأنياب، وليحفظ الله منه كلّ مخلوق! شعرت الأميرة بأنّه سيغمى عليها.

- هل تقبلين بي زوجاً؟ لقد اصطنعتكِ لنفسي.

كانت ترتجف كورقة شجر.

- هل تقبلين بي زوجاً؟

كانت قشعريرة جسمها تشتدّ وهي تنهار كلّما سمعت ذلك الصوت القبيح.

- هل تقبلين بي زوجاً؟

أرادت أن تجيبه بنعم، لكنّ كلمة أخرى سبقتها:

- لا، طبعاً لا!

- إذن تعالي إليّ!

وأمسك بها بمخالبه ليلتهمها.

- كلني في الغد على الأقلّ! أرجوك رحمة بي!

تردّد الرجل المذؤوب لحظة ثمّ قال:

- لكِ هذا! سألتهمك في الغد.

في الليل وفي الساعة المتّفق عليها أطلّت من

النافذة:
- أوّاه يا أمّي الغالية، لقد أخطأت وأجبته بلا، وسيلتهمني غداً.
- تشجعي! قالت لها العجوز.
وقُرع الباب بعنف.
- من أنتم. ماذا تريدون؟
اهتزّ القصر كلّه من زعيق الرجل المذؤوب.
- أنا السكّين الصغيرة، مغروسة في التراب القاسي لأدفع المآسي!
لا يستطيع الرجل المذؤوب أن يفعل شيئاً إزاء هذه التعويذة. خرج في الصباح وما إن رأى السكّين الصغيرة حتى بدأ يعض على أصابعه.
- إذا وَجدتُ من غرسها فسألتهمه بلقمة واحدة!
بحث وفتّش في جميع الأنحاء لكنّه لم يجد أحداً. في النهاية نادى الأميرة:
- تعالي، لن ألتهمك إذا نزعت لي هذه السكّين من الأرض.
صدّقته الأميرة وانتزعت السكّين.
- والآن تعالي إليّ!
أمسك بها بمخالبه ليبتلعها.
- كلني في الغد على الأقلّ! أرجوك رحمة بي!
تردّد الرجل المذؤوب لحظة ثمّ أجاب:

- لكِ هذا.
في الليل أطلّت الأميرة من النافذة:
- أوّاه يا أمّي الغالية! طلب منّي أن أنتزع السكّين من الأرض فانتزعتها. غداً سيأكلني!
- تشجّعي!
قرعت العجوز الباب بعنف.
- من أنتم. ماذا تريدون؟
فاهتزّ القصر كلّه من زعيق الرجل المذؤوب.
- أنا حُنيْطة، مزروعة في التراب القاسي لأدفع المآسي!
لا يستطيع الرجل المذؤوب أن يفعل شيئاً إزاء هذه التعويذة. خرج في الصباح وما إن رأى القمح بسنابله المتدلية حتى بدأ يعض على أصابعه.
- إذا وجدت من زرع القمح فسألتهمه بلقمة واحدة!
بحث وفتّش في جميع الأنحاء لكنّه لم يجد أحداً. في الصباح قال للأميرة:
- تعالي، لن ألتهمك إذا حصدت لي هذا القمح.
صدّقته الأميرة وبدأت تحصد. لأنّ تلك التعويذة لا تصيبها بسوء وانتهت من عملها في اليوم نفسه.
- والآن تعالي إليّ!

- كلني في الغد على الأقلّ! أرجوك رحمة بي!

- لكِ هذا للمرّة الأخيرة!

في الليل أطلّت من النافذة:

- أوّاه يا أمّي الغالية! قال لي احصدي هذا القمح لحصدته. سيأكلني في الغد.

- تشجّعي!

وقرعت العجوز الباب بعنف.

- من؟ زعق الرجل المذؤوب.

- أنا الخيط الناعم، معلّق على النبتة، فلا شرّ البتّة.

لا يستطيع الرجل المذؤوب أن يفعل شيئاً إزاء هذه التعويذة. خرج في الصباح وما إن رأى نهاية الخيط الناعم مربوطة بالنبتة حتى بدأ يعض على أصابعه.

- تعالي، لن ألتهمك إذا استطعت فكّ هذا الخيط ذي الطرفين.

لكنّ العجوز كانت قد أملت على الأميرة:

- لا تتوقّفي لحظة، لا تأكلي، لا تشربي، بل لفّي الخيط وسيري إلى الأمام. ففكّت طرف الخيط، وانطلقت وهي تلفّه. جرى الرجل المذؤوب خلفها وهو يقول لها:

- استريحي، استريحي.

- سأستريح عندما أتعب.

واصلت سيرها وهي تلفّ الخيط، والرجل المذؤوب وراءها.

- تناولي لقمة، تناولي لقمة!

- سآكل عندما أجوع.

واصلت سيرها وهي تلفّ الخيط والرجل المذؤوب وراءها.

- اشربي قطرة ماء، قطرة!

- عندما أعطش سأشرب.

وصلا قرب فوهة الخروج. عندما لاحظ الرجل المذؤوب أنّ الطرف الآخر من الخيط مربوط بنبتة الورد، بدأ يعضّ على أصابعه من شدّة الغيظ. أمّا عندما رأى العجوز فقد انقلب لونه أبيض شاحباً كالقماش المغسول.

- آه، إنّها عدوّتي! لقد متّ، لقد متّ!

عندما التفتت الملكة والأميرة وجدتا خلفهما عوضاً عن العجوز سيّدةً رائعةَ الجمال كأنّها لجة الصباح. كانت تلك ملكة الجنيّات. فتخيّلوا أيّة بهجة اعترتهما!

كانت ملكة الجنيّات تتناول الحصى وتكوّمها على مدخل الحفرة واحدة فوق الأخرى.

- حَصَيَاتِي، أنتنّ حَصَيَاتِي، إن كنتنّ خرِباتٍ أو كنتنّ معمّراتٍ!

بعد أن سدّت الفوهة اختفت ملكة الجنيّات!

فات ذلك الوحش القبيح جوعاً داخل حفرته.
عادت الملكة والأميرة إلى القصر سالمتين غانمتين: وبعد سنة تزوّجت الأميرة ملك البرتغال.

حصونة

كان يا ما كان،

كان هناك ملك يحبّ الصيد حباً جمّاً، ولم يتزوج لكي يبقى حرّاً ويتمكّن من الذهاب إلى الصيد كل يوم.

كان الوزراء يقولون له:

- صاحب الجلالة، الشعب يريد ملكة.

فكان يجيب:

- سأتزوّج في السنة المقبلة.

بعد مضي سنة، يعود الوزراء لتذكيره:

- صاحب الجلالة، الشعب يريد ملكة.

وهو يردّ:

- سأتزوّج في السنة المقبلة.

لكنّ السنة المقبلة لم تقبل أبداً.

ما إن يبزغ الفجر كلّ صباح حتّى يرتدي بزة الصيد ويتنكّب البندقية وينطلق مع كلابه نحو الأدغال والغابات.

ومن يرغب في الاجتماع بالملك كان عليه أن يذهب إلى وسط الأدغال والغابات.

فكان الوزراء يعودون ويقولون:

- صاحب الجلالة، الشعب يريد ملكة.

وهكذا حتّى قَبِل في النهاية وأرسل في طلب يد

ابنة ملك إسبانيا.

لكن عندما همّ بالتزوّج بها لاحظ أنّها حدباء بعض الشيء.

- وهل أتزوّج من حدباء؟ أبداً، على الإطلاق!

- لكنّها جميلة، فاضلة، قال له الوزراء.

- إنّها حدباء وكفى. لا، أبداً!

وهكذا عاد إلى الصيد وإلى الغابات والأدغال.

كان لتلك الأميرة الحدباء قرينة ساحرة من الجنّ.

عندما رأت الجنّيّة الساحرة أنّ الأميرة تبكي لأنّ الملك رفضها، قالت لها:

- اطمئنّي: سيتزوّجك، بل إنّه سيضطرّ لأن يأتي إليكِ ويرجوك. اتركي الأمر لي.

وهكذا فقد قابل الملك وهو في طريقه إلى الصيد امرأة صغيرة القامة نحيلة مهلهلة يمكن لنسمة ريح أن توقعها.

- صاحب الجلالة، صيدك موفّق!

غضب الملك وظهرت عليه علامات الحنق أمام مشهد الشؤم المرسوم على ذلك الوجه، ولم يجب بشيء.

لكنّه لم يتمكّن في ذلك اليوم من إصابة أيّ صيد، ولا حتّى سنونو صغير.

ثمّ ها هي تلك المرأة الصغيرة تظهر من جديد في

صباح يوم آخر، نحيلةً مهلهلة يمكن لنسمة ريح أن توقعها.

- صاحب الجلالة، صيدك موفّق!

- اسمعي أيتها الساحرة - قال لها الملك - سأريكِ ماذا أفعل بك إذا رأيتك مرّة أخرى في طريقي!

لكنّه لم يتمكّن في ذلك اليوم من إصابة أيّ صيد، ولا حتى سنونو صغير.

ومع هذا فها هي في صباح اليوم التالي تبرز مجدداً بوجهها المشؤوم.

- صاحب الجلالة، صيدك موفّق!

- سأريكِ أنا صيْدِيَ الموفّق!

كان الملك قد اصطحب معه الحرس فأمرهم بوضع المرأة ذات الوجه النحس في السجن.

منذ ذلك اليوم كان الملك لا يتمكّن من إطلاق خرطوشة واحدة كلّما ذهب إلى الصيد. فالطرائد اختفت بسحر ساحر من كلّ الأدغال والغابات. ولم يعثروا على أرنب بري أو داجن حتى لو دفعوا وزنه ذهباً.

بل وقع ما هو أسوأ من هذا.

لأنّ الملك بعد أن تعذّر عليه الذهاب إلى الصيد أصبح بديناً، وصار يسمن ويسمن، حتى انقلب خلال وقت قصير ضخماً بدين الجسم يزن أكثر من

قنطارين، وأصبح كرشه يشبه البرميل.

كان سير خطوتين داخل القصر الملكيّ يعادل بالنسبة له سير ميلين. فكان صدره ينفخ أكثر من المنفاخ وكان يبلّل الأرض بعرقه ويشعر بالحاجة إلى الجلوس والاستراحة بل ويتناول طعام دسم ليتمكّن من استعادة قواه. شعر باليأس وبدأ باستشارة أفضل الأطبّاء:

- أريد أن أنحف.

وكان الأطبّاء يكتبون الوصفات تلو الوصفات. ولم يكن يمرّ يوم من غير أن يرسل الصيدلانيّ إلى القصر كؤوساً من الشراب المرّ أكثر من المرارة على أمل أن يشفى صاحب الجلالة.

لكنّ صاحب الجلالة كان يزداد بدانة كلّما تناول ذلك الشراب.

اضطروا أن يوسّعوا كل أبواب الغرف في القصر كي يتمكّن الملك من عبورها، بل إنّ المعماريّين قالوا مرّة إنّ أرضية القصر كانت ستهوي تحت وطأة وزنه لو لم يعملوا على تدعيمها وتثبيتها.

وكان يأس الملك المسكين يزداد وطأة:

فكان يستدعي أطباء آخرين. لكنّه كان يزداد بدانة كلّما تناول وصفاتهم.

في يوم جاءت عجوز وقالت للملك:

- صاحب الجلالة، لقد نُفِثَ بِكَ في عقدة شرّيرة وأنا أعرف كيف أبطلَها. عليك أن تتزوّج

ابنتي واسمها حمصونة لأنّها صغيرة وأصغر من حبّة الحمص.

- فلأتزوّج حمصونتك تلك!

كان الملك على استعداد لأن يفعل ومن يدري ماذا على أن تزول عنه تلك البدانة ويتخلّص من ذلك الكرش.

- ائت بها إلى هنا.

أدخلت العجوز يدها في جيب مئزرها وأخرجت حمصونة التي كانت أقصر من شبر وإن كانت جميلة ومتناسقة الجسم. لكنّها ما إن رأت ذلك الكرش حتّى انفجرت في ضحكة عظيمة. وبينما كانت العجوز تسعى لإيقافها على راحة يدها لتعرضها على الملك، وثبت تلك وثبة كبيرة، فاستقرّت على ذلك الكرش العظيم، وبدأت تجري هنا وهناك في أرجائه كما لو أنّه تلّة واسعة.

شعر الملك بدغدغة قدميها الصغيرتين فأراد إيقافها، لكنّها كانت تثب كالبرغوث، مرّة هنا ومرّة هناك، فلم يتمكّن من التقاطها. كان الملك يضحك من دغدغاتها: هاه، هاه، هاه! وكان كرشه يتأرجح بطريقة مضحكة: هاه، هاه، هاه!

عندها قالت حمصونة:

- كرشُ المَلِكِ، قصرٌ لكِ!

ترك الملك فمه مفتوحاً من شدّة الضحك، فدخلت حمصونة فيه وتوجّهت نحو حلقه:

- كِرْشُ المَلِكِ، قصرٌ لكِ!

فتصوّروا الفزع الذي أصاب الملك وكلّ حاشية القصر.

وسط تلك الفوضى اختفت العجوز.

وكانت حمصونة تأمر من داخل قصرها:

- أحضروا لي الطعام!

وكان على الملك أن يأكل معها.

- أحضروا لي الشراب!

وكان على الملك أن يشرب معها.

- دعوني أنام!

وكان على الملك أن يقف صامتاً بلا حراك حتّى تنام حمصونة.

- صاحب الجلالة - قال أحد الوزراء - لربما كانت تلك عُقْدَةَ سِحرٍ نفثت فيها تلك المرأة الصغيرة النحيلة التي وضعناها في السجن. فلنحضرها إلى هنا!

فتح الحرّاس باب الزنزانة فوجدوها فارغة. لا بُدَّ أنّها هربت من شقّ المفتاح!

- ما العمل الآن؟

قالت حمصونة من داخل قصرها، أي من داخل كرش الملك:

- أعطوني طعاماً، أعطوني ماء!

هذا بينما كان أفراد الشعب يتهامسون حول كثرة الضرائب، إذ إنَّ لتعبئة بطن الملك ثمناً باهظاً! ولا بد من الدفع.

فأصدر الملك إعلاناً:

- من يتمكّن من سحب حصونة من بطنه سيصبح أميراً في المملكة ويأخذ دراهم بالقدر الذي يريده.

لكنّ المعلنين لم يرجعوا بخبر. وكلّما كانت حصونة تنمو، ولم تكن تنمو إلّا قليلاً، كان بطن الملك ينتفخ ليبدو أنّه سينفجر بين لحظة وأخرى.

فكان الملك يتوسّل إليها.

- اخرجي يا حصونتي الحلوة، سأعلنكِ ملكة!

- صاحب الجلالة، إنّي على أحسن حال هنا. أعطوني طعاماً.

- اخرجي يا حصونتي الحلوة، سأعلنك ملكة!

- صاحب الجلالة، إنّي على أحسن حال هنا. أعطوني شراباً.

لولا خشية الموت لكان الملك قد شقّ بطنه بيده.

بينما كان الشعب يدمدم:

- للملك كرش كبير، يبلع كلّ ما يرى، كلّ عملنا يذهب للملكِ أبي كرش!

كما لو أنّ الملك كان مسروراً بكرشه! كان هو وحده الذي يعاني، وهو وحده الذي يعرف أنّ

حصونة هي التي تأمر من داخل بطنه وتستعمل العصا لتكون مطاعة مخدومة.

أخيراً وذات يوم ظهرت العجوز من جديد.

- أيّتها العجوز الشرّيرة! أخرجي حصونتك من بطني، وإلّا فيا لمصيبتكِ!

- صاحب الجلالة، جئت خصّيصاً لهذا الأمر واصطحبتُ لذلك أطبّائي.

كان أطبّاؤها عبارة عن طائرين جارحين داجنين، بل أكبر من الديك الرومي، وكان لكل منهما منقار أطول من ذراع وأقوى من الفولاذ.

- صاحب الجلالة - قالت العجوز - عليك أن تمدّد وسط السهل وبطنك للأعلى.

كان الملك قد أصبح بديناً بحيث لا يستطيع أن يسير خطوة واحدة، لهذا فقد أمر:

- هيّا، دحرجوني.

بدأ الناس يدحرجونه كالبرميل عبر الطرقات وفوق السلالم، وكانوا يتعرّقون من شدة تعبهم.

عندما وصلوا إلى السهل ووضعوا الملك وبطنه للأعلى، بدأ أحد الطيرين ينقر الكرش الضخم. فما الذي اندفع منه؟ اندفعت نافورة نبيذ نقيّ، كلّ النبيذ الذي كرعه صاحب الجلالة خلال سنين كثيرة.

بدأ الناس عندها يملؤون كؤوسهم وقواريرهم

وزجاجاتهم وأباريقهم بل وبراميلهم وكلّ أوعيتهم. ولم تكن كلّ تلك الأوعية كافية. بدا كما لو أنه موسم قطاف العنب. كان الجميع يكرعون ويثملون.

فانكمش بطن الملك شيئاً ما.

هنا بدأ الطير الثاني ينقر بدوره، فتدفّقت كلّ الخيرات التي التهمها الملك خلال سنين كثيرة. أنواع المعكرونة، أصناف المقانق، الفراريج المشوية، شرائح اللحم، الفطائر، الفواكه، وكلّ ما إلى ذلك. لم يعرف الناس أين يضعون ما أخذوا بعد أن أكل الجميع حتّى انتفخت بطونهم كما لو أنهم يحتفلون بأعياد الكرنفال.

وانكمش بطن الملك شيئاً آخر.

عندها قال الملك:

- اخرجي يا حمصونتي الجميلة، فسأجعلكِ ملكة.

أطلّت حمصونة برأسها من أحد الثقوب، وأجابت متضاحكة:

- ها أنذا.

وعاد الملك كسابق عهده.

تزوّجا. لكنّ الملك ظنّ أنّ ذلك الشيء الأقصر من شبر أي زوجه بالاسم، لن يمنعه من العودة إلى التسلّي بالصيد، وهكذا كان يغيب لأسابيع طويلة.

فكانت حمصونة تبكي:

- آه إنّي مليكة مسكينة، بلا مَلِكٍ، كيف لا أكونُ حزينة!

لم يتمكّن الملك من تحمّلها وهي تنتحب بهذا النحيب.

فذهب إلى جنّية ساحرةٍ وقال لها:

- ماذا عليَّ أن أفعل لكي أُبعِد حمصونة عن دربي؟

- صاحب الجلالة، قشّرها، اسلقها أو مشويّة كُلْها.

أمّا أن يأكلها فهذا أمرٌ مقرف. ومع هذا فعندما عاد إلى البيت قال لحمصونة:

- سآخذك غداً معي إلى الصيد لتتسلّي.

أراد أن يقودها إلى وسط الغابة حيث لا يراه أحد. لكنّ حمصونة أجابت:

- قشّرها، اسلقها أو مشويّة كُلْها.

- شكراً، صاحب الجلالة!

- آه إنّي مليكة مسكينة، بلا مَلِكٍ، كيف لا أكونُ حزينة!

اعترت الدهشةُ الملك.

- كيف عرفت بالأمر؟

عاد إلى الجنّية الساحرة وحكى لها ما جرى.

- صاحب الجلالة، عندما تنام حصونة، قصّ خصلةً من شعرها وائتني بها.

لكنّ حصونة لم ترغب تلك الليلة في الذهاب إلى سريرها.

- حصونة تعالي إلى النوم.

- بعد قليل يا صاحب الجلالة، لا أشعر الآن بالنعاس.

انتظر الملك وطال انتظاره، لكنّه نام قبلها. عندما استيقظ في الصباح وجد أنّ حصونة قد نهضت قبله.

- ألم تنامي يا حصونة؟

- من يحترس يسلم. شكراً، صاحب الجلالة.

- أنا مليكة مسكينة، بلا ملكٍ، إنّي حزينة!

اشتدّت دهشة الملك.

- كيف كان لها أن تعرف؟

عاد إلى الجنّيّة الساحرة وقصّ عليها ما جرى.

- صاحب الجلالة، ادعُ الملكَ الغراب، ما إن يراها حتى يبتلعها بمنقاره.

وصل الملك الغراب.

- قاق، قاق، قاق، قاق!

رأى حصونة الأصغر من الشبر، قاق! قاق! فالتهمها بمنقاره.

- ألف شكر أيها الملك الغراب. بوسعك الآن الذهاب.

- قاق! قاق! قاق! سألتَهِمُ عينيكَ قبل أن أطير في الآفاق.

ثمّ انهال على عينيه والتهمهما بنقرتين.

بكى الملك المسكين بدموع من دم.

حصونة ماتت وهو بلا عينين! آه، يا حصونتي!

بعد قليل من الوقت جاءت العجوز من جديد. كانت هي الجنية الساحرة قرينة أميرة إسبانيا.

- صاحب الجلالة، لا تتألّم فحصونة حيّة ترزق. وعيناك محفوظتان في مكان آمن. إنهما في حدبة أميرة إسبانيا.

جرجر الملك نفسه حتّى وصل إلى القصر الملكيّ حيث كانت تسكن تلك الأميرة وبدأ يصرخ من وراء الباب صراخا يثير الشفقة:

- آه يا أميرة! أعيدي لي عينيّ!

أجابت الأميرة من وراء النافذة:

- وهل أتزوّج من حدباء؟ أبداً، على الإطلاق!

- سامحيني يا أميرة، أعيدي لي عينيّ!

أجابت الأميرة من وراء النافذة:

- قشّرها، اسلقها أو مشويّة كُلْها.

عندها فهم الملك أنّ أميرة إسبانيا وحصونة كانتا هما الشخص نفسه، فبدأ يصرخ بصوت

أعلى:

- آهٍ يا أميرة! آهٍ يا حصونة! أعيدي للملك عينيه!

نزلتْ الأميرة إلى الأسفل وقالت له:

- هاكَ العينين!

نظر الملك بدهشة عارمة. فالأميرة لم تعد حدباء بل أصبحت تشبه حصونة أشدّ الشبه لكن بالمقاس الصحيح.

وهكذا تمّت مسامحته، وتزوّجا بعدها فترة.

أمّا هي فقد أرادت أن تُبقي على اسمها، للذكرى: حصونة.

كان الجميع سعداء مسرورين بالرِّفاء والبنين.

ونحن لنا الله وبه نستعين.

الشجرة الناطقة

كان يا ما كان،

كان هناك ملك ظنّ أنّه جمع في قصره كلّ شيء نادر في هذا العالم.

زاره في يوم رجل غريب وطلب أن يرى تلك الأشياء النادرة. راقب كلّ شيء بدقّة متناهية ثمّ قال:

- صاحب الجلالة، ينقصكم أفضل الأشياء.

- وما الذي ينقصني؟

- الشجرة الناطقة.

والواقع أنّ الشجرة الناطقة لم تكن موجودة بين تلك النوادر.

سمع الملك بهذا فلم يعد يتمكّن من النوم. أرسل رسله في أنحاء العالم بحثاً عن الشجرة الناطقة. لكن كلّ الرسل عادوا صفر اليدين.

اعتقد الملك أنّ ذلك الغريب قد سخر منه فأمر باعتقاله.

- صاحب الجلالة، إذا لم يبحث رسلك كما يجب فما هو ذنبي أنا؟ فليحسنوا البحث.

- وهل رأيت بأمّ عينيك تلك الشجرة الناطقة؟

- رأيتها بهاتين العينين وسمعتها بهاتين الأذنين.

- أين؟

- لم أعد أذكر.

- وماذا كانت تقول؟

- لم أعد أذكر. كانت تقول: انتظار بلا مبيت أمرٌ مميت.

- هذا صحيح إذن! فأرسل الملك مراسليه من جديد. انقضت سنة، لكنّ أولئك عادوا من جديد صفر اليدين.

عندها استاء الملك وأمر أن يقطع رأس الغريب.

- صاحب الجلالة، إذا لم يبحث رسلك كما يجب فما هو ذنبي أنا؟ فليحسنوا البحث.

تأثّر الملك بهذا الإصرار، فجمع وزراءه وقال لهم إنّه عزم على الذهاب بنفسه ليبحث عن الشجرة الناطقة.

فإنّه لن يعتبر نفسه ملكاً ما لم يملكها في قصره.

ثمّ سافر متنكّراً.

سار وسار عدّة أيام حتّى فاجأه الليل مرّة وهو في وادٍ ليس فيه مخلوق حيّ. تمدّد على الأرض وكاد ينام عندما سمع صوتاً بدا أنّه صوت بكاء:

- انتظار بلا مبيت أمرٌ مميت!

جرى نحو الصوت واسترق السمع. هل كان يحلم؟

- انتظار بلا مبيت أمرٌ مميت!

لم يكن يحلم! سأل في الحال:

- وأنتِ من أنتِ؟

لم يجب أحد. لكنّ الكلمات كانت من كلام الشجرة الناطقة.

- وأنتِ من أنتِ؟

لم يجب أحد. لكنّ الكلمات كانت من كلام الشجرة الناطقة.

- لا بُدَّ أنّها هي.

لم يجبه أحد. عندما أشرق الصباح رأى في الجوار شجرةً جميلة تتدلّى أغصانها حتّى الأرض.

- لا بُدَّ أنّها هي.

مدّ يده لكي يتأكّد وانتزع ورقتين منها.

- أي! لماذا تنتزع أوراقي؟

شعر الملك بالخوف على الرغم من الشجاعة الكبيرة التي يتحلّى بها.

- وأنتِ من أنتِ؟ إذا كنتِ نفساً تعمّدت فأستحلفكِ بالله أنَ تجيبيني!

- أنا ابنة ملك إسبانيا.

- ولماذا أنتِ في هذا المكان؟

- وجدت بركةَ ماء نقيّ كالبلّور فرأيت أن أستحمّ فيها، وما إن لمست الماء حتّى سحرتني.

- ماذا بوسعي أن أفعل لكي أبطل هذا السحر؟

- عليك أن تحصل على التعويذة وأن تقسم بأن

تتزوّجني.

- أمّا القسم فإني أقسم في الحال. وأمّا التعويذة فسأجدها حتّى لو تطلّب الأمر أن أسافر إلى آخر الدنيا. لكن لماذا لم تجيبيني في الليلة السابقة؟

- كانت الساحرة موجودة... اصمت الآن، إنّي أسمعها قادمة، وإذا وجدتك معي فإنّها ستسحرك أنت أيضاً.

أسرع الملك واختبأ خلف الجدار. فرأى الساحرة قادمة على غصن رمّان.

- مع من تكلّمتِ؟

- مع هواء الرياح.

- إنّي أرى آثار أقدام.

- ربّما كانت آثار قدميك.

- هل هي آثار قدميّ إذن؟

أمسكت الساحرة بمضرب من حديد وسألت:

- من أين جئت؟ جئت من الطاحونة.

- كفى، رجاءً كفى! لن أفعلها ثانية!

- هل هي آثار قدميّ إذن؟

ثمّ:

- من أين جئت؟ جئت من الطاحونة.

استاء الملك ورأى أنه لا جدوى من بقائه هناك، ولا بدّ من الحصول على التعويذة. وهكذا

فقد عاد أدراجه.

لكنّه ضلّ الطريق. عندما رأى أنّه تاه في غابة واسعة ولن يجد طريقه الصحيح، فكّر بأن يتسلّق شجرة ليقضي ليلته على قمّتها، وإلا فلا بد أن تلتهمه الوحوش الضارية بلقمة واحدة.

في منتصف الليل سمع ضجيجاً يصمّ الآذان وينتشر في أنحاء الغابة. كان ذلك هو الغول في طريق عودته إلى البيت ومعه مئة من كلابه تجري خلفه.

- أشمّ رائحة لحم بشريّ لذيذ.

وقف الغول قرب الشجرة وبدأ يشمّ هنا وهناك في الهواء:

- ما ألذّ هذه الرائحة!

انتابت الملك الرعشة وهو يرى الكلاب تبحث بين الأكمات وهي تنبح وتمشّط الأرض حيث تشمّ آثار أقدامه. لكنّ الظلام كان لحسن حظّه كثيفاً، فابتعد الغول بعد أن بحث لبعض الوقت بلا جدوى، ونادى على كلابه لتأتي خلفه.

- هيّا! هيّا!

طلع النهار وما زال الملك يرتجف من الخوف، لكنه نزل من على الشجرة وسار بكلّ حذر. فاجتمع بفتاة جميلة.

- أيّتها الفتاة الجميلة أرشديني رجاء إلى الطريق، إنّي مسافر تائه.

- آه، يا مسكين! إلى أين وصلت! بعد قليل سيأتي أبي ويأكلك حياً. يا مسكين!

وفي الواقع فقد سُمعت حالاً أصوات نباح كلاب الغول، وصوته وهو ينادي عليهم من خلفه:

- هيّا! هيّا!

- هذه المرّة هي نهايتي! فكّر الملك.

- تعالَ إلى هنا – قالت الفتاة – اجلس على أربع، لأجلس بدوري على ظهرك وأغطيّك بتنورتي. لكن لا تتنفس!

رأى الغول ابنته فتوقّف.

- ماذا تفعلين هناك؟

- إنّي أستريح.

- أوه، ما ألذّ رائحة هذا اللحم البشريّ!

- مرّ صبيّ من هنا فالتهمتُه بلقمة.

- رائع! والعظام؟

- قضمتها الكلاب.

لكنّ الغول لم يتوقّف عن الشمّ في الهواء.

- آه ما ألذّ هذه الرائحة.

- إذا أردت بلوغ البحر فلا تبطئنّ في الطريق.

ما إن ذهب الغول حتّى قصّ الملك على الفتاة كلّ قصّته.

- صاحب الجلالة، إذا أردت أن تتزوّجني فإنّني أعطيك التعويذة.

كانت الفتاة جميلة حقّاً وكان بودّ الملك أن يتزوّجها.

- واحسرتاه أيّتها الفتاة الجميلة! لقد أعطيت كلمتي.

- إنّه حظّي السيّئ، لكن لا يهمّ!

قادته نحو البيت، أخذت مرطباناً وفركت صدره بمرهم من مراهم أبيها. فوقع السحر على الملك.

- أيّتها الفتاة الجميلة أعيريني الآن فأساً.

- ها هي.

- ما هو هذا الدهن؟

- إنّه زيت حجر الشحذ الذي شحذت به.

بوجود التعويذة كانت طرفة عين كافية للعودة إلى مكان الشجرة الناطقة.

لم تكن الساحرة موجودة، فقالت له الشجرة:

- احذر، فداخل الجذع يوجد قلبي. عندما تبدأ بقطعي لا تلتفت إلى الساحرة. إذا طلبت منك أن تضرب في الأعلى فلا تضرب إلّا في الأسفل، وإذا طلبت منك أن تضرب في الأسفل فاضرب في الأعلى، وإلّا قتلتني. ثم عليك أن تقطع رأس الساحرة بضربة واحدة، وإلّا فالويل لك. لن

تنفذك وقتها حتّى التعويذة.

جاءت الساحرة.

- عمَّ تبحث في هذه الأرجاء؟

- أبحث عن شجرة أصنع بها الفحم، وكنت أنظر إلى هذه الشجرة.

- هل تعجبك؟ إنّها هديّتي لك. على أن ترميها أرضاً بضرباتك وكما أقول لك.

رفع الملك فأسه وكانت أحدّ من السكّين وسألها:

- أين؟

- هنا.

لكنّه ضرب هناك.

- لقد أخطأتُ. أين؟

- هنا.

- لقد أخطأتُ. أين؟

- هناك.

لكنّه ضرب هنا.

- لقد أخطأتُ. أين؟

لكنّه لم يجد طريقة يوجّه بها الضربة إلى الساحرة، لأنّها كانت محترسة. فقال الملك:

- أووووها

- ماذا ترى؟

- نجمة.

- في النهار، هذا مستحيل.

- هناك في الأعلى، وراء ذلك الغصن، انظري!

ما إن التفتت الساحرة لتنظر وراء ذلك الغصن، حتّى هوى عليها وقطع رأسها بضربة واحدة.

بطل السحر، وخرجت من جذع الشجرة صبيّة لا يمكن التحديق في وجهها من شدّة جمالها!

كانت سعادة الملك عظيمة وعاد برفقتها إلى القصر الملكيّ وأمر أن يحتفل بزفافه في الحال احتفالاً رائعاً.

عندما حلّ اليوم الموعود، وبكثير من الدهشة لاحظت الوصيفات اللائي كنّ يلبسن الملكة ثوب الزفاف أنّ جسمها قاسٍ كالخشب. فطارت إحداهن إلى الملك وقالت له:

- صاحب الجلالة، إنّ جسم الملكة قاسٍ كالخشب!

- هل هذا ممكن؟

ذهب الملك والوزراء ليروا. كان الأمر مدهشاً. عند النظر إليها كان جسمها يخدع أيّاً كان، لأنّها عند لمسها كانت خشباً! على الرغم من أنّها تتكلّم وتتحرّك. لذلك فقد أشار الوزراء بأنّه لا يمكن للملك أن يتزوّج دمية، وإن كانت تتكلّم وتتحرّك. لذلك فقد ألغوا الاحتفالات.

- هذا سحر آخر، فكّر الملك وهو يتذكّر دهن الفأس.

أخذ قطعة من اللحم وقطّعها بالفأس. لقد حزرا فالقطع المقطوعة بدت لحماً يخدع أيّاً كان، أمّا عند لمسها فهي خشب. لا بدّ أن هذه خيانة من صنع ابنةِ الغول، صنعتها من شدّة غيرتها.

قال الملك للوزراء:

- سأذهب وأعود.

ذهب إلى الغابة التي قابل فيها تلك الفتاة.

- هل أنت هنا يا صاحب الجلالة؟ أيّة ريح طيّبة حملتك؟

- لقد جئت خصيصاً من أجلك.

لم تشأ ابنة الغول تصديقه:

- هل هذه كلمة ملكٍ أنّك جئت من أجلي؟

- كلمة ملك!

لقد قال الصدق، لكنّها ظنّت أنّه جاء ليتزوّجها.

شبكا أيديهما ودخلا إلى البيت.

- هذه هي الفأس التي استعرتها منك.

عندما مدّها الملك نحوها، قدّمها لها بطريقة جرح فيها يدها.

- صاحب الجلالة، ماذا فعلت؟ لقد أصبحتُ من خشب!

أظهر الملك أنّه تألّم أشدّ الألم لهذه الواقعة:

- ألا يمكن لنا أن نعالج الأمر؟

- افتح تلك الخزانة، خذ ذلك المرطبان وادهن كلّ جسمي بالدهن الذي فيه، فأشفى في الحال.

أخذ الملك المرطبان.

- انتظري حتّى أعود.

فهمت هي الأمر في الحال، فبدأت تصرخ:

- خيانة! خيانة!

ثمّ أرسلت خلفه كلاب أبيها المئة. لكن وأسفاه!... فلقد اختفى الملك. بذلك الدهن عاد جسم الملكة طرياً، فأمكن الاحتفال بالعرس.

دامت الاحتفالات الملكيّة ثمانية أيّام، ولم يخلّفوا لنا إلّا العظام...

الخواتم الثلاثة

في مرّة من المرّات،
كان هناك خيّاط له ثلاث بنات،
كلّ واحدة منهنّ أجمل من الأخرى. كانت زوجه قد ماتت منذ ردح من الزمان. فأعمل فكره وأحرق ذهنه لكي يجد طريقةً تمكّنه من تزويجهن. خاصة أنّه لا يملك مهراً يقدّمه للفتيات، وليس من السهل أن تجد زوجاً فتاةٌ لا تملك مهراً.
في يوم فكّر هذا الأب المسكين أن يرحل إلى سهل من السهول وأن يستصرخ القَدَر:
- يا قَدَر، أيّها القَدَرا
فظهرت أمامه امرأة عجوز تحمل كبكوبة خيوط ومغزل:
- لماذا ناديتني؟
- ناديتك من أجل بناتي.
- ائت بهنّ إلى هنا، الواحدة بعد الأخرى، فتختار كل منهن مصيرها بنفسها.
عاد الرجل الطيّب إلى بيته مسروراً وقال لبناته:
- وجدت لكُنَّ أسبابَ السعادة!
ثمّ قصّ عليهنّ القصّة كلّها. انتفخت أوداج الكبرى فتقدّمت قائلة:
- لي أن أختار قبل الجميع، وسأختار أفضل

اختيارا
في اليوم التالي توجّه الأب وابنته نحو ذلك السهل:
- يا قَدَر، أيّها القَدَرا
ظهرت العجوز تحمل كبكوبة خيوط ومغزل:
- لماذا ناديتني؟
- هاكِ ابنتي الكبرى.
سحبت العجوز من جيبها ثلاثة خواتم، خاتماً من ذهب، وآخر من فضة والثالث من حديد. ووضعتها في راحة يدها.
- اختاري وليكن الله في عونك!
- هذا هنا.
وطبيعيّ أنها اختارت الخاتم الذهبيّ.
- صاحبة الجلالة، أحيّيك!
انحنت أمامها ثمّ اختفت!
عادا إلى البيت فقالت الأخت الكبرى لأختيها وهي تمايل مزهوّة كالطاووس:
- سأصبح ملكة، وسيكون عليكما سحب ذيل ثوبي الملكي!
في اليوم التالي ذهبت الابنة الثانية مع أبيها.
ظهرت العجوز مع كبكوبة الخيوط والمغزل، سحبت من جيبها خاتمين، خاتماً من فضّة والآخر

من حديد.

- اختاري وليكن الله في عونك!

- هذا هنا.

ومن المفهوم أنّها اختارت الخاتم الفضّي.

- أيّتها الأميرة، أحيّيك!

انحنت أمامها ثمّ اختفت!

عندما عادت إلى البيت قالت لأختها الكبرى:

- إذا كنت ستصبحين ملكة، فأنا سأصبح أميرة!

وطفقا كلاهما تسخران من أختهما الصغرى:

- ماذا ترين؟ من يصل متأخّراً لا يقطف مُثمراً. كان عليك أن تولدي قبلنا بحين.

لكنّها التزمت الصمت.

في اليوم التالي ذهبت البنت الصغرى مع أبيها. ظهرت العجوز مع كبكوبة الخيوط والمغزل، سحبت من جيبها ثلاثة خواتم كالمرّة الأولى: خاتماً من ذهب، وآخر من فضّة والثالث من حديد.

- اختاري وليكن الله في عونك!

- هذا هنا.

وسط حنق أبيها اختارت خاتماً من حديد.

لم تقل العجوز شيئاً واختفت.

بقي الخيّاط يتذمّر في الطريق:

- لماذا لم تختاري ذلك الذهبيّ؟

- هكذا ألهمني ربّي!

ثار فضول الأختين فاستبقتا وصولها وذهبتا لملاقاتها على الدرج: - أرينا! أرينا!

شاهدتا خاتم الحديد فتلوّيتا من الضحك وبدأتا تسخران منها. أمّا عندما عرفتا أنّها اختارته بين الذهبيّ والفضيّ فقالتا إنّها حمقاء وتركتاها لأنّها حمقاء.

لكنّها التزمت الصمت.

في هذه الأثناء شاع الخبر بأنّ بنات الخيّاط الثلاث امتلكن خواتم الحظّ السعيد. كان ملك البرتغال يريد أن يتزوج فجاء لمشاهدتهنّ. فسحرته الكبرى بجمالها:

- كوني ملكة البرتغال!

تزوّجها وسط احتفالات مشهودة وأخذها معه.

بعدها بقليل جاء أمير، فسحرته الثانية بجمالها.

- كوني أميرة!

تزوّجها وسط احتفالات مشهودة وأخذها معه.

بقيت الأخيرة ولم يطلبها أحد.

أخيراً جاء في يوم راعي غنم:

- هل تقبل أن تنكحني ابنتك هذه؟

لكنّ الخيّاط الذي كان له ابنةٌ ملكة والأخرى أميرة ركب رأسه غروراً وأجاب:

- أستميحك العذر، عندنا راعي غنم.

كادت تنقضي سنة أخرى، والبنت الصغرى ما زالت في البيت، بينما لم ينقطع الأبّ عن التذمّر ليل نهار:

- هذا ما تستحقّه، الغبيّة! ستعيش في زاوية مظلمة مع خاتمها الحديدي.

في نهاية السنة عاد راعي الغنم وتقدّم من جديد.

- هل تقبل بتزويجي تلك البنت؟

- خذها – أجاب الخيّاط – إنّها لا تستحقّ غير ذلك!

تزوّجا بلا احتفالات وبلا شيء، ثمّ أخذها معه.

عندها قال الخيّاط:

- أريد الذهاب لزيارة ابنتي الملكة.

وجدها وهي تبكي.

- ماذا حلّ بكَ يا بنيّتي؟

- إنّي بائسة شقيّة! الملك يريد ابناً ولا أستطيع تقديمه. الله وحده يهب الأبناء.

- ألا يمكن لخاتم الحظّ أن يكون عوناً؟

- لا يعين في شيء. وقد قال لي الملك: الويل لك إذا لم تنجبي ولداً خلال سنة؟. أنا متأكّدة يا أبتِ أنّه سيقطع رأسي.

فكيف يمكن لذلك الأب المسكين أن يعالج الأمر؟ لذلك فقد سافر ليزور ابنته الأميرة. ووجدها تبكي.

- ماذا حل بك يا بنيّتي؟

- إني بائسة شقيّة. كلّما وضعت ولداً يموت بعد يومين.

- أوَلا يمكن لخاتم الحظّ أن يعينك؟

- لا ينفع في شيء. وقد قال لي الأمير: يا لمصيبتك إذا مات أيضاً هذا الولد الذي في بطنك. أنا متأكّدة يا أبتِ أنّه سيطردني من بيته!

فماذا يمكن لذلك الأب المسكين أن يفعل؟ فسافر.

في الطريق خطرت له فكرة الذهاب لزيارة ابنته الأخرى، زوج راعي الغنم. لكنّه خجل من الظهور أمامها. فتنكر بزيّ تاجر، وأخذ معه بعض الحلي ليبيعها، ثمّ سار وسار وسار حتّى وصل أخيراً إلى تلك الديار البعيدة.

رأى قصراً رائعاً بهيّاً، فسأل لمن هو؟

- إنّه قصر الملك شمس.

بينما كان واقفاً يتأمّل بدهشة سمع من يناديه من إحدى النوافذ:

- أيّها التاجر، إذا كان لديك بضاعة جميلة فاصعد لأنّ الملكة تريد أن تشتري.

صعد، فمن كانت الملكة يا ترى؟ كانت ابنته الصغرى، زوج راعي الغنم. تجمّد في مكانه ولم يتمكّن حتى من فتح صندوق بضاعته.

- هل أنت مريض أيها المسكين؟ قالت له الملكة.

- بنيّتي، إنّي أنا أبوك! وأطلب منك السماح!

كانت قد عرفته فلم تقبل أن يقع ساجداً أمام قدميها بل استقبلته بين ذراعيها:

- أهلاً بك! لقد نسيت كلّ شيء. كل واشرب، لكن عليك أن تغادر قبل حلول المساء، لأنك ستحترق إذا رآك الملك شمس.

بعد أن أكل وشرب قالت له الملكة:

- هذه الهدايا هي لكم. هذه الجوزة هي لأختي الكبرى. وقنينة الماء هذه للأخرى. قل لها أن تبتلع الجوزة بقشرها، وقل للأخرى أن تشرب قطرة ماء كلّ يوم، لا أكثر. وأخبرهما يا أبتِ أن تبقيا على حذر!

عندما علمت الأختان بالحظّ الذي نالته أختهما الصغرى وشاهدتا الهدايا التي بعثت بها لهما، احترقتا بنار الحسد والازدراء.

فهل سخرت منهما بتلك الجوزة وذلك الماء!

رمت الكبرى الجوزة أرضاً وداستها بكعبها. نفر الدم من الجوزة لأنّ طفلاً صغيراً صغيراً كان فيها فداست على رأسه!

صاح الملك عندما رأى تلك الحجرة والطفل المسحوق:

- هاه! أبعدوها من أمامي، اقطعوا رأسها!

ثمّ أعدمها من غير شفقة ولا رحمة.

في الوقت نفسه أخذت الأخرى قنّينة الماء ونزعت غطاءها ثمّ توجّهت نحو النافذة وأطلّت منها ثمّ دلقت ما فيها فانسكب كلّ الماء.

كان هناك فتيةٌ تحت النافذة يجرّون قطّة ميّتة، عندما انصبّ الماء على القطّة انتعشت وعادت للحياة.

- آه أيّتها النذلة الشرّيرة! صاح الأمير - لقد تعدّيتِ على مصير أبنائنا!

ذهل وسط غضبه العارم وخنقها بيديه.

عاد الأب إلى ابنته الصغرى وقصّ عليها ما حدث وهو يبكي بسبب تلك المصائب.

- كُلِ الآن واشرب يا أبتِ وغادر قبل أن يحلّ المساء. لأنّك ستحترق إذا وجدك الملك شمس هنا. سأرسل في طلبك عندما تصلني أخبار حلوة.

عاد الملك شمس في المساء فسألته:

- صاحب الجلالة، ماذا رأيت خلال رحلتك؟

- رأيت ملكة يُقطع رأسها وأميرة تُخنق. كانتا تستحقّان ذلك.

- أوّاه يا صاحب الجلالة، إنّهما أختاي! لكن

بوسعك أن تبعثهما، لا تحرمني من هذا المعروف!

- سنرى! أجاب الملك شمس.

ما إن أصبح صباح اليوم التالي ووصل إلى المكان الذي دفنت فيه الملكة حتى طرق على القبر وقال:

- أنتِ التي تحت التراب. أرسلتني أختك، وهي فِي عذاب، إذا أردت أن تخرجي من هذا الظلام، فعليك أن تتوبي من كلّ الآثام!

- أقول لأختي: تحت الأرض راحتي، وعليها الشرور ولعنتي! قبل سنة تأتيها أذيّتي!

- ابقَي إذن هناك، أيّتها النذلة الدنيئة!

واصل الملك شمس رحلته. وصل إلى قبر الأميرة. طرق على القبر وقال:

- أنت التي تحت التراب. أرسلتني أختك، وهي في عذاب، إذا أردت أن تعودي من الموت إلى الحياة، فعليك أن تسلكي سبل النجاة!

- أقول لأختي: تحت الأرض راحتي، وعليها مصائب ظاهرة وخفية، وقبل مرور شهر سنراها منيّة!

- ابقَي إذن هناك، أيّتها النذلة الدنيئة!

واصل الملك شمس رحلته بينما أُكِلَت الأختان في بطون الديدان.

الورقة قصيرة والطريق طويلة، قولوا ما عندكم،

فأقوالي كانت جميلة.

العجوز

كان يا ما كان

كان هنالك ملك شابّ صغير أراد أن يتّخذ له زوجاً،

لكنّه أراد أن تكون زوجه أجمل فتاة في العالم كلّه.

- حتّى لو لم تكن من دم ملكيّ؟ سأله وزراؤه.

- هذا لا يهمّني في شيء.

- فلتعلم إذن يا صاحب الجلالة أنّ أجمل فتاة في العالم هي ابنة نعّال. لكنّ خبثاء الشعب قد يسمّونها الملكة نعلة... وهذا ليس لائقاً يا صاحب الجلالة، ففكّر بالأمر جيداً.

أجاب الملك:

- هل ابنة النعّال هي أجمل فتاة في العالم؟ ستصبح ابنة النعّال إذن زوجي وستصبح الملكة. سأذهب لأراها وأنا متنكّر. سأذهب في الغد.

أمر بتسريج أحد أحصنته، ثمّ انطلق بصحبة أحد الخدم نحو ذلك البلد الذي يعيش فيه النعّال.

قابل في الطريق عجوزاً طلبت منه صدقة:

- أعطني حسنة! أعطني حسنة!

لكنّ الملك تجاهلها.

فتجرجرت العجوز خلف الحصان،

- أعطني حسنة! أعطني حسنة!

حرن الحصان وأصاب العجوز فسقطت على الأرض.

واصل الملك سيره من غير أن يعطي الأمر أية أهمية، لكنّ الخادم عطف عليها فترجل عن حصانه ورفعها وعندما وجد أنها لم تصب بأذى، سحب من جيبه ما تبقّى من نقود قليلة ووضعها في يدها.

- لا أملك غيرها يا عجوزي.

- شكراً يا بنيّ، عرفت طيبة قلبك. فاقبل مقابل معروفك هذا الخاتم، ضعه في أصبعك فسيجلب لك الحظّ.

عندما وصلا إلى البلد المنشود، ذهب الملك وخادمه إلى أمام دكّان النعّال وسارا حولها جيئة وذهاباً حتى أفلح الملك في رؤية الفتاة الجميلة، أجمل فتاة في العالم. ما أجملها! انبهرت عيناه.

لم يشأ إضاعة الوقت فقال للنعّال:

- إنّني أنا الملك، أريد ابنتك زوجاً لي.

- صاحب الجلالة، هناك عقبة. فابنتي مسحورة مرصودة: لا يتزوّجها إلّا من إذا كلّمها مرّة شعرت بوخزة في خنصر يدها. يمكن لنا أن نجرب.

اضطرب الملك بعض الشيء إزاء هذا الخبر، لكنّه فكّر:

- إذا كان هذا السحر هو الذي يحتّم مصيرها، فلا بدّ أنّها مرصودة لأحد الملوك.

وهنا غمره الفرح فقال للنعّال:

- فلنجرّب.

نادى النعّال ابنته ولم يخبرها شيئاً عن الملك، لكنّ هذا ما إن رآها أمامه حتّى ازداد إعجاباً وانبهاراً.

- صباح الخير أيّتها الفتاة الجميلة.

- صباح الخيرات أيّها السيّد.

لم تكن الفتاة على علم بشيء من السحر. ولا بدّ أنّ أباها سيصبح في قمّة السعادة إذا أصبحت ابنته ملكة، لذلك فقد سألها:

- ألم تشعري بشيء؟

- لا شيء. بماذا يجب أن أشعر؟

بدا للملك المسكين أنّه سيموت بسبب هذا الجواب. وكان في طريقه لأن يتسلّل لواذاً وينسحب بصمت، لولا أنّ الخادم الذي بقي في الزاوية رأى من المناسب أن يهمس في أذن الفتاة قائلاً:

- انتبهي، إنّه صاحب الجلالة!

- أي! أي! أي!

شعرت الفتاة بوخزة قاسية في خنصر يدها وبدأت تهزّها.

- أي! أي! أي!

فلتصوّر وجه الملك عندما أدرك أنّ تلك الفتاة، أجمل فتاة في العالم، إنّما هي مرصودة لخادمه، لذلك الفتى البائس الخشن!

أخذ النعّال إلى الزاوية وقال له:

- دع الأمر لي، ابنتك ستكون ملكة.

عندما عاد إلى القصر الملكيّ نادى الخادم:

- قبل أن تتزوّج ابنة النعّال عليك أن تؤدّي لي هذه الخدمة، فأنا لا أثق إلّا فيك. خذ هذه الرسالة لملك إسبانيا وانتظر جوابه. لكن يجب ألّا يعرف أحد إلى أين أنت ذاهب وما هو سبب رحلتك.

- أمرك يا صاحب الجلالة.

ثمّ أخذ الرسالة وانطلق.

في منتصف الطريق قابل تلك العجوز:

- إلى أين أنت ذاهب يا بنيّ؟

- إلى حيث تحملني قدماي.

- آه، أيّها المسكين، إنّك لا تعرف ماذا ينتظرك. في تلك الرسالة خيانة! إذا سلّمتها للملك فإنّه سيقتلك في الحال. أعطه هذه بدل تلك، فتكون النتيجة مختلفة.

أخذ رسالة العجوز ورمى رسالة الملك. شكرها وتابع رحلته.

مرّ عام ولم يُعرف عنه أمر.

رجع الملك إلى النمّال وقال للفتاة:

- لا بُدَّ أنّ ذلك الفتى قد مات، فلقد مرّ عام ولم يعرف عنه شيء. أفضل ما نفعله هو أن نتزوج نحن الاثنان.

- كما تريد يا صاحب الجلالة.

أجرى الملك استعدادات العرس وعندما حلّ يومه ذهب بصحبة الوزراء ليحضر العروس في عربة الاحتفالات.

في بيت النمّال وجدوا مكنسة منتصبة وسط الغرفة، فقال الملك للوزراء:

- هذه هي صاحبة الجلالة الملكة!

دهش الوزراء ونظروا في وجوه بعضهم بعضاً لكنّهم لم يجرؤوا على الإجابة.

- صاحب الجلالة، هذه مكنسة!

كان الملك يرى في تلك المكنسة ابنة النمّال، أجمل فتاة في العالم. فأمسك بها من مقبضها (وهو يظنّ أنّه يمسك بيدها) وقادها نحو العربة وبدأ يقول لها أقوالاً حلوة لطيفة.

استاء الوزراء وبدؤوا يتهامسون:

- يا للمصيبة، لقد جنّ الملك!

لكنّهم استجمعوا شجاعتهم قبل أن يصلوا إلى المدينة حيث كان الشعب ينتظر مجيء الملكة،

فقال له أحدهم:

- صاحب الجلالة، أستميحك العذر!... لكنّ هذه ليست إلّا مكنسة!

استشاط غضب الملك واعتبر هذا إهانة للملكة. أوقف العربة وأمر الجنود بربط ذلك السفيه الوغْ إلى ذَنَبِ الحصان وسحبه حتى القصر الملكي.

عندما رأى الآخرون هذا المشهد المؤلم التزموا الصمت جميعهم. عندما وصل الملك إلى القصر الملكيّ أطلّ من النافذة ليعرض الملكة على شعبه.

- هذه هي مليكتكم!

لم ينتهِ من كلامه عندما شعر أنّ عُصابةً سقطت من على عينيه فوجد نفسه واقفاً في مكانه وفي يده المكنسة، بينما كان كلّ الشعب يضحك من هذا الملك الذي بدا كأنّه كأس يحمل مكنسة.

مَنْ يحمل وزر هذه المصيبة؟ لأنّ الذنب هو ذنب طالعه السيئ والسحر الذي وقع على تلك الفتاة!

ومع هذا فإنّه ركب رأسه أكثر فأكثر، إنّه يريدها زوجاً له.

عاد الخادم سليماً معافى ومحمّلاً بالهدايا.

- بماذا أجاب ملك إسبانيا؟

- صاحب الجلالة، أجاب ملك إسبانيا بالقول:

- اعمل، اعمل، جنّ. لم تنلها، لا، ولن.

تصنّع الملك أنّه مسرور، لكنّه استدعى ساحراً وأخبره بكلّ شيء:

- ما هي القصّة في هذا الأمر.

- صاحب الجلالة، القصّة واضحة جليّة. ذلك الرجل يمتلك خاتماً سحرته الجنيّة ملكة الساحرات، وما دام هذا الخاتم في إصبعه فإنّك لن تتمكّن من التخلّص منه. لا بد من الحيلة لتخليصه من ذلك الخاتم، ولا نفع فيه للقوة.

فكّر ثمّ فكّر، حتّى جاء يوم رأى الملك فيه أنّ الخادم عاد معروقاً من جهد العمل الذي قام به:

- تعال إلى هنا، أريد أن أقدّم لك كأساً من نبيذي، إنك تستحقّه.

كان النبيذ مخلوطاً بمخدّر، فما إن شربه الرجل المسكين حتّى غطّ في نوم عميق.

نزع صاحب الجلالة الخاتم من يده ووضعه في إصبعه ثمّ ذهب وتقدّم أمام ابنة النعّال:

- صباح الخير أيّتها الفتاة الجميلة!

- أي! أي! أي!

شعرت الفتاة بوخزة مؤلمة في خنصر يدها وهزّت يدها وهي تصرخ:

- أي! أي! أي!

سارت الأمور على أحسن ما يرام، وأمر

الملك من جديد باستعدادات جديدة للعرس. وعندما حلّ يومه ذهب ليحضر الملكة بعربة الاحتفالات.

عندما وصلا إلى القصر الملكيّ قال للملكة:

- صاحبة الجلالة، هذه الشقّة هي شقّتك.

لكن ما إن أراد الملك أن يذهب ليراها بعد قليل من الوقت حتّى وجد نفسه يدور ويدور ولا يعثر على الباب بل يرى على كلّ الجدران مسطوراً:

- اعمل، اعمل، جنّ. لم تنلها، لا، ولن.

كانت الملكة تشارك في احتفالات القصر. تذهب إلى غرفة الطعام حيث يتجمّع المدعوّون، ثمّ تنسحب إلى شقّتها.

كلّما أراد الملك أن يذهب ليراها يجد أنّه يدور ويدور ولا يعثر على الباب بل يرى على كلّ الجدران مسطوراً:

- اعمل، اعمل، جنّ. لم تنلها، لا، ولن.

شعر باليأس، لكنّه لم يخبر مخلوقاً بشيء، كي لا يسخر منه مخلوق.

أمّا ذلك الرجل المسكين أي الخادم فكان قد استغرق في نومه مدّة يومين، وما إن فتح عينيه حتّى وجد أنّ خاتمه قد سرق منه، فخرج من القصر الملكيّ وهو يبكي من فظاعة مصيبته.

وجد العجوز خلف أبواب المدينة:

- آه يا عجوزي! لقد سرقوا لي الخاتم.

- لا تيأس، لا عليك. عندما يتزوّج الملك وتدخل الملكة في شقّتها عليك أن تغرس هذا المسمار في عتبة الباب، وسترى ما الذي يحدث.

لذلك فإنّ الملك لم يتمكّن البتّة من العثور على الباب. كلّما أراد أن يدخل إلى الشقّة كان يمنعه من ذلك المسمارُ المغروس في العتبة.

انفجر الملك من شدّة الغضب. فاستدعى الساحر من جديد وأخبره سرّاً بكلّ أمر.

- ما هي القصّة في هذا الأمر؟

- صاحب الجلالة، القصّة واضحة جليّة. ذلك الرجل يمتلك مسماراً أعرته الجنيّة ملكة الساحرات وغرسه في العتبة. وليس هناك الآن يا صاحب الجلالة حيلة تنفع: وستبقى زوجاً من غير زوج.

- لكن ماذا صنعت أنا ضدّ الجنيّة ملكة الساحرات تلك، إنّي حتّى لا أعرفها!

- لا يا صاحب الجلالة، هل تذكر مرّة عجوزاً طلبت منك صدقة في أوّل مرّة ذهبت فيها إلى بلد النمّال؟ ألا تذكر أنّك صدمتها بحصانك فوقعت على الأرض؟

- أجل!

- كانت تلك هي الجنّية ملكة الساحرات.

كان على الملك أن يقتنع أنّه لا جدوى من استعداء الجنّية الساحرة. فاستسلم وتزوج من فتاة جميلة، أجل، لكنّها لم تكن أجمل فتاة في العالم. لقد تزوّج من أميرة فرنسا.

وتزوّج الخادم من ابنة النعّال، فأهداه الملك مهراً ثميناً وعينه أميناً على القصر الملكيّ.

أنجب الملك والخادم صبية وبنات، ولنا ما تيسّر من حتات.

نافورة الجمال



رسم جوليا مارتا آغويلار فيغويرنا

كان يا ما كان

كان هناك ملك وملكة

كانت ابنتهما ذات وجه بشع ، قبيحة في شخصها،

فلم يهدأ لهما بال.

تركاها وحيدة وحبساها في غرفة منعزلة. وكان الملك مرّة والملكة مرّة أخرى يحملان إليها الطعام في سلّة وكانا يبكيان عندها لينفّسا عن آلامهما.

- أيّتها الإبنة التعيسة! وُلِدتِ ملكةً ولا تستطيعين التمتّع بما وهِبَ لكِ!

عندما كبرت وأصبحت في السنة السادسة عشرة من عمرها قالت لأبيها:

- صاحب الجلالة، لماذا تحبسني هنا؟ دعني أنطلق في هذا العالم. فقلبي ينبئني بأنّي سأعثر على حظّي المقدّر لي.
لم يرغب الملك بالموافقة.
فإلى أيّ مكان بوسعها أن تذهب وحيدة من غير خبرة ولا تجربة؟ هذا غير ممكن!
- دعني أذهب وإلّا انتحرت!
لم يتمكّن الملك من مقاومة هذا التهديد اليائس:
- كما تشائين يا بنيّتي، اذهبي!
أعطاها نقوداً تكفيها، فانطلقت الأميرة خلال الليل بينما كان الجميع نياماً في القصر الملكي. سارت ثمّ سارت وسارت حتّى وصلت إلى أحد الأرياف، وكانت شمس الظهيرة تحرق فاستظلّت تحت إحدى الأشجار. بعد قليل سمعت صوت نحيب:
- أي! أي! أي!
ارتعشت خوفاً والتفتت يمنة ويسرة لكنّها لم تجد أحداً.
تشجّعت وذهبت نحو مصدر صوت النحيب، فاكتشفت بين العشب ضبّاً صغيراً يصدر ذلك الصوت.
- ماذا ألمّ بك أيّها الضبّ الصغير؟
- قطعوا لي ذنبي ولم أجد العقب الذي قطعوه،

إذا وجدتِه لي سأقدّم لك هديّة ثمينة.

أشفقت الأميرة عليه وبدأت تنبش: نبشت ثمّ نبشت وتابعت النبش بين الأعشاب حتى وجدته في آخر الأمر.

- شكراً يا فتاتي. احفري الآن هنا تحتي، فتجدي الهديّة.

بعد أن حفرت قليلاً سحبت الأميرة بصلة أكبر بقليل من الجوزة.

- وماذا أصنع بها؟

- احتفظي بها يا عزيزتي فلربّما نفعتك في يوم ما.

وضعتها الأميرة في جيبها.

التقت في طريقها بعجوز فقيرة تحمل كيس قمح على ظهرها. انشقّ الكيس فجأة فتناثر كل القمح على الأرض. بدأت العجوز تنوح من شدة الغيظ.

- لا عليك، سألمّه لك - قالت الأميرة - لم يحدث شيء.

- آه، إنّ الحبّات معدودة عليّ، فإذا نقصت حبّة واحدة فإنّ زوجي سيقتلني!

تحلّت الأميرة بالصبر الجميل وانهمكت في تجميع حبّات القمح فجمعتها كلّها حبّة حبّة ولم تنقص منها حبّة واحدة.

- شكراً أيّتها الفتاة الطيّبة، لا أستطيع أن أجازيك إلّا بهذا.

وأعطتها سكّيناً ثمنه بخس، له مقبض من حديد.

- وماذا تريدين أن أصنع بها؟

- حافظي عليها فلربّما نفعتك في يوم ما.

فوضعتها الأميرة في جيبها.

سارت ثمّ سارت وسارت حتّى وصلت إلى حافّة حفرة عميقة. فسمعت ثغاءً مرتعشاً. نظرت فرأت نعجة في القاع:

- ماذا حدث أيّتها النعجة؟

- لقد سقطت إلى الهاوية فكسرت ساقي.

نزلت إلى الأسفل وأخذتها على كتفيها ثمّ ضمّدت الساق بمنديل، فتمكّنت النعجة من المشي وهي تعرج.

- أشكرك أيّتها الفتاة. بماذا بوسعي أن أكافئك؟ ربّما بالجرس الذي على رقبتي!

- وماذا تريدين أن أصنع به؟

- حافظي عليه فلربّما نفعك في يوم ما.

نزعت الأميرة الجرس من على رقبة النعجة ووضعته في جيبها مع البصلة والسكّين ذي الثمن البخس.

سارت ثمّ سارت وسارت حتّى وصلت إلى مزرعة متطرفة.

- أيّتها النفوس المؤمنة، أعطوني ملجأً أبيت فيه هذه الليلة!

ظهر لها أنّ صاحبة المكان سيّدة طيّبة فجلستا تتحادثان في المطبخ، بينما كانت القِدْر تغلي.

- من أنتِ؟ وإلى أين أنت ذاهبة؟

بدأت الأميرة تقصّ كلّ قصّتها:

- اسكتي، اسكتي، أيّتها الثرثارة! اسكتي، اسكتي!

كان هذا صوت القِدْر وهي تغلي متذمّرة، لكن كانت هي وحدها من تسمعه.

لم تعره انتباهاً بل تابعت لفترة كلامها، فقصّت قصّتها حتّى خروجها من القصر الملكيّ.

- اسكتي، اسكتي، أيّتها الثرثارة! اسكتي، اسكتي!

كان هذا صوت القِدْر وهي تغلي متذمّرة، لكن كانت هي وحدها من تسمعه. تأثّرت بالكلام فتوقّفت عن ثرثرتها.

- وبعدها؟ سألتها المرأة.

- ها أنذا هنا!

عندما وصل زوج المرأة، أبلغته بكلّ التفاصيل.

- هل تعلم بماذا فكّرت يا زوجي؟ لدينا ابنةٌ مثل قرص الشمس: فلنأخذها إلى الملك. سنقول له إنّها ابنته سحرتها ساحرة فأصبحت بهذا الجمال. أمّا

الأميرة فسنسجنها هنا في مستودع القمح حتّى تموت.

- لكن كيف يمكن للملك أن يصدّق كلامنا؟

- معي كلّ العلامات.

وهكذا فعلا. أمسكا في منتصف الليل بالأميرة المسكينة وسجناها في مستودع القمح وقادا ابنتهما في اليوم التالي إلى القصر الملكي.

عندما سمع الملك والملكة قصّة الساحرة تردّدا ولم يصدّقا. لذلك فقد قالت الفتاة التي سبق وأملي عليها:

- ألا تذكر يا صاحب الجلالة عندما كنت تأتي إلى غرفتي ومعك السلّة، وكنت وقتها تبكي وتقول: (أيّتها الابنة التعيسة! ولدتِ ملكةً ولا تستطيعين التمتع بما وُهِبَ لك؟)

دهش الملك والملكة، فتلك الكلمات لم يسمعها مخلوق إلّا ابنتهما! عانقا الفتاة وأعلنا عن حفلات ملكيّة.

ثمّ قدّما للشخصين اللذين جاءا بها جبلاً من النقود الذهبيّة.

أمّا الأميرة المسكينة فقد لبثت ثلاثة أيّام وهي تبكي بكاء مريراً، وعندما تفاقم شعورها بالجوع بدأت تنادي وتطلب حسنة حتّى قطعة خبز يابس!

لم يخرج مخلوق. عندها تذكّرت أنّ معها بصلة.

- يمكنها على الأقلّ أن تسكت شيئاً من جوعي!

وسحبتها من جيبها.

- أمرك! أمرك!

- أريد طعاماً!

فحضرت أطباق يتصاعد منها بخار الطعام، أدوات مائدة من أبهى الأنواع وقنانٍ وكؤوس.

ما إن انتهت من الطعام حتّى اختفى كلّ شيء.

سحبت السكّين من جيبها.

- أمرك! أمرك!

- حوّل ذلك الباب إلى خشب.

تحوّل الباب في لحظة إلى كومة من الأخشاب.

سحبت من جيبها الجرس وبدأت ترنّه. فحضر قطيع من النعاج لا عدّ له.

- أمرك! أمرك!

- ارعوا تلك الحقول ما دام فيها عرق عشب.

وفي دقيقة واحدة حُطِّم الزرع والكروم والأشجار في تلك المزرعة.

سافرت الأميرة حتّى وصلت إلى مدينة كان الابنُ الوحيدُ لملكها مريضاً بمرض خطير. ولم يعرف كلّ أطبّاء العالم، لا أشهرهم ولا أعلمهم، ما هو هذا المرض. قالوا إنّه مجنون، لكنّه كان يحكم في الأمور برجاحة عقل. كانت له بعض

النزوات وكان يزداد نحافة، ويزداد نحافة، حتّى صار هزيلاً مثل لهب القنديل.

في يوم كان هذا الأمير واقفاً يطلّ من نافذة القصر الملكيّ عندما رأى الأميرة تمر أمامه.

- آه، كم هي قبيحة! أريدها هنا! أريدها هنا!

أرسل الملك في طلبها.

- هل تريدين أيّتها الفتاة أن تعملي لدينا؟

- صاحب الجلالة، بكلّ سرور!

- عليك أن تعملي في خدمة الأمير.

فبدأت في خدمة الأمير.

- أيّتها القبيحة، افعلي هذا. أيّتها القبيحة افعلي ذلك.

على الرغم من أنّ الأمير كان لا يناديها إلّا بهذه الطريقة، فإنّه كان يحرص على أن تقوم بخدمته في كلّ شيء، حتّى في جلي صحونه.

اشتهى الأمير في يوم البازلّاء، وكان الوقت شتاء! فمن أين لهم بالبازلّاء؟

- بازلّاء! بازلّاء!

كان يردّدها ولا يقول غير هذا ورفض أيّ طعام. كان الملك على استعداد لأن يدفع وزن البازلّاء ذهباً ثمناً لها.

تذكّرت الأميرة البصلة فسحبتها من جيبها.

- أمرك! أمرك!

- أريد طبقاً من البازلّاء!

وها كم طبقاً لذيذاً من البازلّاء.

تناوله الأمير بشهيّة كبيرة ثمّ قال:

- أشعر الآن بالتحسّن!

في مرّة ثانية اشتهى طبقاً من خليط الحلزون في غير موسمه.

- خليط الحلزون! أريد خليط الحلزون!

كان هذا كلامه طيلة الوقت وكان يرفض أيّ طعام آخر. فأصبح الملك على استعداد لأن يدفع ثمن طبق الحلزون بوزنه ذهباً.

التجأت الأميرة من جديد إلى البصلة.

- أمرك! أمرك!

- طبقاً من خليط الحلزون!

تناوله الأمير بشهيّة كبيرة ثمّ قال:

- أشعر الآن بالتحسّن!

وفي الواقع فقد استعاد شيئاً من وزنه.

في مرّة ثالثة اشتهى أخيراً كباب طيور السنونو في غير موسم السنونو. فكيف لهم اصطيادها؟

- طبقاً من كباب طيور السنونو! كباب طيور السنونو!

وكان بودّ الملك لو يدفع ذهباً بوزن تلك الطيور ثمنا لها!

لكنّ الأميرة سحبت كما هي العادة البصلة من جيبها.

- أمركِ! أمركِ!

- كتاب طيور السنونو!

التهمها الأمير بشهيّة عظيمة ثمّ قال:

- أشعر الآن بالتحسّن!

انقلب نضراً كالورود النضرة: ولم يتذكّر حتّى إنّه كان ذات مرّة مريضاً. في يوم من الأيام رأى الأميرة:

- آه، ما أقبحها! قال متعجّباً. - من هي هذه الفتاة؟ اطردوها!

انسحبت الأميرة وهي تبكي:

- هكذا يريد طالعها!

قابلت العجوز التي اجتمعت بها يوم انتثر القمح.

- أوّاه، ما الذي حدث يا بنيّتي؟

قصّت عليها القصّة بكلمات قليلة.

- كوني سعيدة مسرورة يا بنيّتي! سأساعدك أنا. تعالي معي.

وقادتها أمامها نحو مغارة من المغارات.

- اسمعي، ستجدين في الداخل نافورة الجمال. عندما تتمكّن فتاة من الغوص فيها تنقلب بغتة جميلة كقرص الشمس. لكن عليك أن تحذري، فإنّ في هذه المغارة أربع غرف. يوجد في الأولى

تنّين، عليك أن ترمي البصلة في حلقه، فيدعك تمرين. في الثانية يوجد عملاق موشّح بالفولاذ ويحمل صولجاناً من حديد، أريه نصل السكّين، فيدعك تمرين. في الثالثة يوجد أسد جائع، عندما يتوجّه نحوك عليك بهزّ الجرس، فستجدين أنّه سيبتعد عنك من دون أن يمسك بسوء. لكن عليك ألّا تخافي، وإلّا فوداعاً لأنّها ستكون نهايتك. أمّا في الغرفة الرابعة فتوجد النافورة. عندما تدخلين فيها لا تترددي لحظة أبداً بل غوصي فيها بكلّ ملابسك.

دخلت الأميرة. فظهر التنّين بفمه الفاغر وهو يمدّ عنقه ليلتهمها. رمت البصلة في حلقه، فانسحب والتفّ على نفسه بهدوء، ثمّ أخلد إلى النوم.

سارت إلى الأمام. فظهر العملاق الموشّح بالفولاذ فهجم عليها بصولجانه المشرع وهو يزعق زعيقاً مخيفاً، أرته نصل السكّين فتنحى العملاق وقبع في الزاوية.

ذهبت الأميرة نحو الغرفة الثالثة. فظهر الأسدُ بفمه الفاغر، منتصب الذنب، يحركه في الهواء. وعندما هزّت الجرس ظهر قطيع من الغنم، فوثب الأسد على القطيع ليقطّع الأشلاء ويلتهم الأغنام.

أمّا هي فتوجّهت إلى الأمام. رأت النافورة فغاصت فيها بكلّ ملابسها. شعرت حالاً أنّها تغيّرت وأصبحت فتاة أخرى، حتى إنّها لم تعرف

نفسها. لأنّه لم يظهر جمالٌ مثيلٌ لهذا الجمال منذ أن كان هذا العالم عالماً.

عادت إلى المدينة التي فيها الأمير، واستأجرت بيتاً إزاء القصر الملكي.

دهش الأمير أيّما دهشة:

- آه، يا لهذا الجمال! آه، يا لهذا الجمال! إنّي سأتزوّجها إذا كانت من دم ملكيّ.

كان الملك يحبّ ابنه كما يحبّ بؤبؤ عينيه، لذلك فقد أرسل في الحال وزيراً ليسألها إذا كانت من دم ملكي.

- إنّي كذلك، لكنّ الأمير إذا أرادني فعليه أن يقدّم لي ثلاث هدايا:

- وما هي هذه الهدايا؟

- عُرف الديك الذهبيّ، جلد الملك الأسمر، وسمكة بلا مرارة. إنّي أعطيه ثلاث سنين وإلّا فلن يتزوجني.

انطلق الأمير ليبحث عن الديك الذهبيّ الذي لا يتواجد إلّا في بعض الغابات المليئة بالوحوش الضارية، حيث الأخطار عديدة، محدقة، وشديدة. هناك يلقى حتفه كلّ من يُسمع له صوت وهو يغني.

بعد جهود جهيدة وبعد أن جابه آلاف العقبات، اكتشف الأمير ذلك الديك الذهبيّ وكان قد اتّخذ قنّاً له على قمّة شجرة. فأصابه وقتله

وعاد به منتصراً.

- حسناً، قالت الأميرة، - ضعه هناك، أنتظرُ الآن جلد الملك الأسمر.

كان الملك الأسمر رهيباً، لم يتمكّن أيّ محارب من الانتصار عليه. أرسل الأمير إليه متحدياً، وأنه يريد جلده.

- فليأت ليأخذه.

تقاتلا بالسيف، فأدماه الملكُ الأسمر حتّى بدأ الدم يقطر من كلّ أطراف الأمير.

لكنّ هذا تمكّن من توجيه ضربة قاضية أصابت الملك في قلبه.

- لقد متُّ!

سلخ الأمير جلده بحرص شديد وحمله معه إلى الأميرة.

- حسناً، ضعه هناك. أنتظر السمكة بلا مرارة.

هذا كان أصعب. فكيف له أن يصيد تلك السمكة بين آلاف السمك؟ لكن كان لا بدّ من فعل ذلك.

أخذ معه القصبة والصنّارة والطعم وذهب إلى شاطئ البحر.

بقِي هناك شهوراً وشهوراً: كان وقتاً ضائعاً ولم يبق على انقضاء السنين الثلاث إلّا ثمانية أيام فقط!

في اليوم الثامن سحب سمكة بائسة المظهر، لكنّ الحظ قد حالفه، لأنها كانت هي السمكة بلا مرارة.

- حسناً، قالت الأميرة - ضعها هناك. أرسل الآن وراء أبي الملك. فأنا لا أريد أن أتزوّج من غير موافقته.

أرسلوا سفيرهم، لكنّ السفير عاد سريعاً.

- قال ذلك الملك إنّنا مجانين. فابنته عنده ومن يريد يمكن له أن يراها.

- إذن لقد خدعتنا!

ووضعوها في السجن.

لم يبقَ في جيبها إلّا الجرس. فبدأت تهزّه بشدّة من شدة يأسها.

أسرعت النعجة إليها.

- آه، أيّتها النعجة! يا نعجتي! انظري إلى ما حلّ بي. ليس لي إلّا أنتِ لتساعديني.

- خذي هذه العشبة، امضغيها جيّداً وأبقيها في فمك.

كانت الأميرة كلّما مضغت مضغة تعود القهقرى قبيحة مشوّهة الخلقة كما كانت ذات مرّة.

- يكفيك لكي تعودي جميلة أن تبصقي العشبة. أمّا الآن فاصمتي وتعالي ورائي.

خرجا من السجن من غير أن يراهما سجّان ولا حرس. وفي أربع قفزات تمكّنت الأميرة من الحضور بين يدي والديها.

ما إن شاهداها حتّى أدرك الملك وأدركت الملكة الخدعة. وعندما عرفا بخيانة ذينك الزوجين أرسلا وراءهما وأمسكا بهما ووضعاهما في السجن مع ابنتهما.

وهنا بصقت الأميرة العشبة فعادت جميلة رائعة الجمال.

لم يكن هناك جمال مثيل لهذا الجمال منذ أن كان هذا العالم عالماً.

نادوا على الأمير، تزوّجا وعاشا حتّى هرما، سعيدين مسرورين.

الحصان البرونزيّ

كان يا ما كان

كان هناك ملك وملكة وكان لهما بنت أجمل من الشمس وأبهى من القمر وكانا يحبّانها حبهما لمآقي عيونهما.

جاء في يوم شخص وقال للملك:

- صاحب الجلالة، كنت في طريقي عبر الغابة القريبة فالتقيت بالرجل الوحش. قال لي: اذهب إلى الملك وأخبره أنّي أريد الأميرة زوجاً لي. ويا لمصيبته إذا لم أجدها هنا بعد ثلاثة أيام.

عندما سمع الملك ما سمع استاء استياء شديداً وجمع مجلس العرش.

ماذا عليه أن يعمل؟ الرجل الوحش رهيب. يمكنه أن يقلب المملكة رأساً على عقب.

- صاحب الجلالة – قال أحد الوزراء – فلنبحث عن فتاة جميلة ونلبسها كلباس الأميرة ونرسلها إليه. وبهذا يكون الرجل الوحش مسروراً.

عثروا على فتاة جميلة كالأميرة وأعطوها أثمن ثياب الأميرة لترتديها ثمّ أرسلوها إلى الغابة. وكان عليها أن تدّعي أنّها ابنة الملك.

لكنّ الفتاة رجعت في اليوم التالي.

- ما الذي حدث؟

- صاحب الجلالة، التقيت بالرجل الوحش فسألني: من أنتِ؟ فأجبت: أنا الأميرة.

- قال: دعيني أرَ.

- فكّ كمّ ذراعي اليسرى ثمّ صرخ: لم تقولي الصدق، لأنّ للأميرة شهوة في تلك الذراع. ثم أرجعني. ويا لمصيبتكم إذا لم تكن زوجه عنده بعد يومين.

لم يعرف الملك ماذا يفعل. فجمع مجلس العرش من جديد.

- الرجل الوحش يعرف أنّ للأميرة شهوة في ذراعها اليسرى. من المستحيل أن نخدعه.

- صاحب الجلالة - قال الوزير - فلنبحث عن فتاة أخرى، ولندعُ رسّاماً يرسم على ذراعها شهوة كشهوة الأميرة. نكسوها بثوب من ثيابها ونرسلها له. لن يكون لدى الرجل الوحش ما يقوله هذه المرّة.

عثروا على فتاة أخرى جميلة.

رسموا على ذراعها شهوة كشهوة الأميرة، وألبسوها ثوباً من أثمن ثيابها وأرسلوها إلى الغابة. كان عليها أن تدعي أنها ابنة الملك.

لكنّ تلك الفتاة عادت في اليوم التالي.

- ما الذي حدث؟

- صاحب الجلالة، التقيت بالرجل الوحش

فسألني: من أنتِ؟ فأجبت: أنا الأميرة.

- دعيني أرَ.

- فتّش في شعري ثمّ صرخ: لم تقولي الصدق، لأنّ للأميرة ثلاث شعرات بيض على رقبتها. ويا لمصيبتكم إذا لم تكن زوجه عنده في الغد.

كاد الملك المسكين وكادت الملكة المسكينة أن يضربا رأسيهما بالجدار.

هل عليهما إذن أن يلقيا ابنتهما تلك الجوهرة بين ذراعيّ الرجل الوحش؟

- صاحب الجلالة - قال الوزراء - فلنقم بمحاولة أخيرة. لنبحث عن فتاة أخرى يرسم الرسّام شهوة على ذراعها ويصبغ بالأبيض ثلاث شعرات على رقبتها ثمّ نلبسها ثوباً من ثياب الأميرة ونرسلها إلى هناك. ولن يكون بوسع الرجل الوحش أن يطلب المزيد.

لكنّ تلك الفتاة عادت هي أيضاً في اليوم التالي.

- ما الذي حدث؟

- صاحب الجلالة، التقيت بالرجل الوحش فسألني: من أنتِ؟. فأجبت: أنا الأميرة.

- دعيني أرَ.

- فتّش ذراعي اليسرى، وقال: حسناً. ثمّ فتّش في شعري فوق الرقبة وقال: حسناً. ثمّ تناول حذاء مطرّزاً وأمرني قائلاً: انتعلي هذا الحذاء،

وبما أنّ قدميّ لم يدخلا في الحذاء فقد صرخ: لم تقولي الصدق. وأعادني من حيث أتيت، وهو يصيح: المصيبة! المصيبة!.

عندها قال الوزراء:

- صاحب الجلالة، لا بدّ أن تحدث الآن مصيبة! لذلك يجب التضحية بالأميرة من أجل سلامة المملكة!

لم يتمكّن الملك من الاستسلام، إنّه على استعداد لتقديم كلّ ما في عروقه من دماء فداءً لابنته! لكن هذه هي إرادة القَدر، ولا بدّ أمامها من طأطأة الرؤوس.

أمّا الأميرة فقد أظهرت شجاعة فاقت شجاعة الجميع. على كلّ وفي نهاية الأمر فإنّ الرجل الوحش لن يلتهمها!

ارتدت ثياب العرس وذهبت برفقة الملك والملكة ورجالات القصر وحشد كبير من الشعب، وتوجّهوا نحو الغابة وسط البكاء والنحيب والعويل.

عندما بلغوا حدود الغابة، عانقت الملكَ والملكةَ وهوّنت عليهما الأمر قائلة إنّها ستعود لزيارتهما، ثمّ اختفت وسط الغابة وأشجارها الكثيفة. ولم يعرف عنها بعد ذلك شيءٌ، ولا عن الرجل الوحش.

بعد انقضاء سنة وشهر ويوم جاء إلى القصر رجلٌ غريب طلب لقاء الملك. كان قزماً بطول

شبرين، أحدب وأعرج، وله أنف يشبه منقار بوم الحظائر، وعينان دقيقتان صغيرتان. لم تكن لدى الملك أية رغبة في الضحك، لكنّه لم يتمكّن من لجم ضحكته عندما رآه أمامه.

- وماذا تريد؟

- صاحب الجلالة - قال القزم - أتيت لأقدّم عرضاً. إذا قبلت بإعطائي نصف مملكتك ورضيت بتزويجي من الأميرة، فإنّي سأذهب لتحريرها من يدي الرجل الوحش.

- يا ليت! أجاب الملك، لكن ليس نصف المملكة بل إنّي سأعطيك المملكة بكاملها.

- كلمة الملك لا تراجع عنها.

- كلمة ملك!

انطلق القزم في سبيله.

لم ينقضِ أسبوع حتّى استلم الملك رسالة:

((غداً عند انبلاج بهاء الشمس، كن قرب الغابة بصحبة الملكة والحاشية وكلّ الشعب، لتحتفلوا بعودة ابنتك)).

لم يجرؤ الملك والملكة على تصديق الخبر: خشيا أن يكون ذلك القزم قد أخذ يسخر منهما. لكنّهما ذهبا. وعندما أشرقت الشمس ظهر القزم الأحدب الأعرج، يده بيد الأميرة يقودها، وهي بثياب الزفاف التي دخلت بها إلى غابة الرجل الوحش.

- تصوّروا أيّة سعادة وسرورا!

أقيمت حفلات وولائم بلا عدّ ولا حصر. لكن لا حديث عن الزفاف، ولا عن نصف المملكة.

الآن وقد استعاد الملك ابنته وقتل القزمُ الرجلَ الوحش، لم يعد هناك مكان لكلمة تصان وعهد يوفى. لكنّ القزم كان يسأل بين الحين والآخر:

- صاحب الجلالة، وحفلة زفافي؟

عندها كان الملك يغيّر الحديث، وكأنّه لم يفهم قصده.

- صاحب الجلالة، ونصف المملكة الذي وعدت به؟

عندها كان الملك يغيّر الحديث أيضاً، وكأنّه لم يفهم قصده.

- ما أجمل وعود الملك! قال له القزم مرّة.

- آه أيّها القزم النذل الوغد!

ثمّ ركل الملك ظهره فألقاه من النافذة.

- لا بدّ أنّه مات!

ذهبوا ليتفقّدوه في الطريق، لكنّ القزم اختفى، فقد ذهب بعد أن انتصب على الأرض ونظّف ثيابه وانطلق مسرعاً كأنّ أمراً لم يحدث.

- رحلة سعيدة! قال الملك وقد غمره الفرح.

لكنّ الأميرة انقلبت من يومها في أسوأ مزاج وانقطعت عن الكلام والضحك وبدأ لونها يمتقع.

- بماذا تشعرين يا بنيّتي؟

- صاحب الجلالة، لا أشعر بشيء. لكن... من يعطي كلمة فعليه أن يفي بها.

- وكيف؟ هل تريدين إذن ذلك القزم الأحدب والأعرج؟

- ليس هذا قصدي، لكن... من يعطي كلمة فعليه أن يفي بها.

كما أنّ الملكة لم تعد مطمئنة في عيشها:

- كان ذلك القزم قويّاً: لقد هزم الرجل الوحش، ويجب أن نخشى من شرور نقمته!

لكنّ الملك كان يجيب بهزّ كتفيه:

- لو حضر ذلك المخلوق أمامي مرّة أخرى...!

فكانت الأميرة تردّد:

- من يعطي كلمة فعليه أن يفي بها!

انتشر بالطبع خبرُ تحرير الأميرة من براثن الرجل الوحش، لذلك فقد أرسل أمير البرتغال في طلب يدها.

لم تجب الأميرة بالقبول أو بالرفض، لكنّ الملك والملكة كانا يتوقان للاحتفال بزفافها.

انطلق أمير البرتغال في رحلته وقابل في الطريق رجلاً يقود عربة كبيرة عليها حصان من برونز يظهر وكأنه حي يرزق.

- أيّها الرجل، إلى أين تقود هذا الحصان

البرونزيّ؟

- أريد أن أبيعه.

اشتراه الأمير وقدّمه هديّة للملك.

اقترب يوم الزفاف. وكان الناس يتقاطرون نحو حدائق الملك حيث تمّ نصب الحصان على عمود رائع. وقد دهش الجميع للمنظر.

- يظهر كأنّه حيّ يرزق، يخيّل للمرء أنّه يسمع صهيله!

نزل الملك والحاشية لمشاهدة الحصان. وكان الجميع يقولون:

- يظهر كأنّه حيّ يرزق، يخيّل للمرء أنّه يسمع صهيله!

عدا الأميرة، فلم تنبس ببنت شفة.

دهش الأمير لأمرها فسألها:

- ألا يعجبك أيّتها الأميرة؟

- بلى إنّه يعجبني جدّاً – أجابت - لدرجة أنّي أشتهي ركوبه.

جاؤوا بسلّم فركبت الأميرة على صهوة الحصان البرونزي، لامست عرفه وداعبت عنقه وبدأت تحثّه برفق بكعب حذائها، ذلك وهي تقول مازحة:

- حصاني، يا حصاني. اقفز عن العمود، وحقّق الأماني. حصاني، يا حصاني.

لم تكد تنتهي من كلامها حتّى تحرّك الحصان الذهبي وهزّ عرفه وصهل ثمّ انطلق وقفز في الهواء، يشق عنان السماء حتى إنّه اختفى في طرفة عين والأميرة على ظهره.

ارتعب الجميع ولم يجرؤ أحد على التنفّس. لكن وسط ذلك الصمت انفجرت بغتة ضحكة تعزية:

- هاه! هاه! هاه!

نظر الملك فرأى القزم وهو يتلوّى بالضحك بحدبته وساقه العرجاء. فأدرك في الحال أنّ ذلك الحصان المسحور هو من عمل هذا القزم.

- قزمي، يا أيّها القزم – قال الملك وقد ندم – إذا رددت علي ابنتي فستكون زوجاً لك وأعطيك نصف المملكة مهراً.

لكنّ القزم تابع التلوّي بضحكه:

- هاه! هاه! هاه!

عندما رآه الناس يضحك بتلك الطريقة بدؤوا جميعهم يضحكون وحتى ضحكت الملكة.

- هاه! هاه! هاه!

أمسكوا بخواصرهم ولم يقدروا على المتابعة. الملك المسكين وحده بقي حزيناً يعتصر ألماً ويثير الشفقة.

- آه أيّها القزم، أيّها القزم الجميل. إذا رددت عليّ ابنتي فستكون زوجاً لك وأعطيك نصف

المملكة مهراً.

- صاحب الجلالة، إذا كنت تقول ما تقول عن صدق – أجاب القزم- فعليك أن تأخذ ما أعطيتني في المرّة السابقة.

- ماذا أعطيتك؟

- ركلةً معتبرةً على ظهري.

تردّد الملك وخجل من تلقّي الركلة في ذلك المكان، أمام الشعب والحاشية. لكنّ حبه لابنته دفعه للقبول.

أدار ظهره للقزم وانتظر الركلة، لكنّ القزم أراد أن يظهر كرمه فقال له بدل أن يركله:

- حصاني، يا حصاني، ارجع إلى العمود، وحقّق الأماني. حصاني، يا حصاني.

في طرفة عين رجع الحصان وعليه الأميرة.

عندها قال القزم للملك:

- صاحب الجلالة، الكُم حدبتي بقبضتك، لا تخف!

لَكَمَ الملكُ بقبضته حدبةَ القزم فتلاشت في الحال.

- صاحب الجلالة، باعد بين ساقيّ، لا تخف!

باعد الملك بين ساقي القزم فاستقامتا في الحال.

صاحب الجلالة، أمسك بي، أنت من قدميّ والملكة من ذراعيّ واسحباني سحباً شديداً.

أمسك به الملك من ذراعيه والملكة من قدميه وسحبا، سحبا، ثمّ سحباه حتى انقلب القزم إلى شابّ جميلٍ طويل القامة.

اقتنع أمير البرتغال أنّه أصبح زيادة عدد فقال:

- أعطوني على الأقلّ ذلك الحصان لأُسرع في طريق عودتي.

امتطى الحصان البرونزيّ ولفظ الكلمات السحرية فغاب في طرفة عين.

وأصبح الأميرة والقزم (كما واظبوا على تسميته) زوجين سعيدين.

وبقي لنا أن نلعق الأصابع.

البيضة السوداء

كان يا ما كان

كانت هناك عجوز تعيش على الصدقات، لكنّها كانت تقسم كلّ ما تحصله إلى نصفين متساويين: فتأخذ نصفاً لها وتعطي النصف الآخر لدجاجتها.

كانت الدجاجة تبدأ صباح كلّ يوم بالنقيق لتعلن أنّها وضعت البيضة. فكانت العجوز تبيع البيضة بدرهم وتشتري بالدرهم خبزاً. كانت تعطي قشرة الخبز للدجاجة وتأكل هي اللبّ. ثمّ تنطلق لتستجدي الصدقات.

لكن حلّت سنة جدباء. عادت العجوز إلى البيت خالية الوفاض.

- آه يا دجاجتي سنبقى اليوم ببطنين فارغين.

- علينا أن نتحلّى بالصبر. سنأكل غداً.

في اليوم التالي، ما إن بزغ الفجر حتّى بدأت الدجاجة بالنقيق. لكنّها وضعت بدل البيضة بيضتين. بيضة بيضاء وبيضة سوداء.

انطلقت العجوز لتبيعهما. فباعت البيضة البيضاء في الحال، أمّا البيضة السوداء فلم يصدّق أحد أنّها بيضة دجاجة. اشترت العجوز خبزها المعتاد بدرهم وعادت إلى البيت.

- آه يا دجاجتي، لم يرغب أحد بشراء البيضة السوداء.

- اذهبي بها إلى الملك.

أخذتها العجوز إلى الملك.

- ما هذه البيضة؟

- صاحب الجلالة، بيضة دجاجة.

- كم تريدين فيها؟

- صاحب الجلالة، كما يلهمك قلبك.

- أعطوها مئة ليرة.

عندما حصلت على تلك النقود، اعتقدت العجوز أنّها أصبحت أغنى من صاحب الجلالة بالذات.

صدف أن الملكة في تلك الأيّام وضعت دجاجة فوق بعض البيض وأضافت هذه البيضة إليها. لكنّ الدجاجة لم تربض فوقها.

أرسل الملك وراء العجوز:

- تلك كانت بيضة فاسدة.

- صاحب الجلالة، لا يمكن، لأنّ الدجاجة باضتها في اليوم نفسه.

- ومع ذلك فإنّها لم تفقس.

- يجب أن تحضنها الملكة.

بدا الأمر شديد الغرابة. لكنّ الملكة ثار فضولها فقالت:

- سأحضنها أنا.

وضعتها في صدرها، فشعرت بعد مرور اثنين وعشرين يوماً أنّ القشرة تنقر. وخرج صوص أبيض رائع الجمال.

- صاحبة الجلالة، صاحبة الجلالة! حضروا حساء بالنبيذ.

وبدأ بالقوقأة.

- هل أنت ديك أم دجاجة؟

- صاحبة الجلالة، إنّي ديك.

- غنِّ.

- كوكوكوكوا

كان ديكاً بالفعل. ثمّ صار تسلية للقصر كلّه. لكنّه كان كلّما كبر ازداد وقاحة. على المائدة كان ينقر من أطباق الملك والملكة. وينبش هنا وهناك في أطباق الوزراء، ولم يكن هؤلاء يجرؤون على توبيخه احتراماً للملك. وكان يتجوّل في كلّ غرف القصر الملكيّ، ويعتلي ما يشاء من أمكنة ويوسّخ ويملأ بروثه حيثما حل. هذا فضلاً عن أنه طيلة النهار:

- كوكوكوكوا كوكوكوكوا!

صُمّت الآذانُ، وفقد أهل القصر قدرتهم على تحمّله.

في يوم صنعت الملكة لنفسها ثوباً جديداً كان آية في الروعة، وكلّف مبالغ طائلة. قبل أن ترتديه،

قام الديك بتلويثه.

استشاط غضب الملكة:

- أيها الديك القذر! عفوت عنك هذه المرّة. لكنّك سترى في الثانية ماذا سأصنع بك!

ثمّ طلبت من الخيّاطة تفصيل ثوب آخر أثمن من الأول. انهمكت الخيّاطة في عملها، فتصوروا الثوب الذي صنعته!... لكن قبل أن ترتديه الملكة قام الديك بتلويثه.

انطفأ النور في عيني الملكة من شدّة الحزن:

- أيها الديك القذر! أنا التي ستتدبّر الآن أمرك. ادعوا لي الطبّاخ.

جاء الطبّاخ.

- اطبخ لي بهذا الديك طبق حساء معتبراً.

في المطبخ خلعوا عنقه ونقعوه في السلق. لكن ما إن غلى الماء في القِدر حتّى:

- كوكوكوكوا!

انزلق الديك من القِدر، كما لو أنّهم لم يخلعوا عنقه ولم ينتفوا ريشه ولم يسلقوه.

أسرع الطبّاخ نحو الملكة.

- صاحبة الجلالة، لقد نهض الديك وبعث حيّاً!

كان هذا أمراً غريباً، جعل من الديك شيئاً نادراً ثميناً. أصبح الجميع ينظرون إليه نظرة احترام يختلط بالخوف. وقد استغل هو الموقف. فاشتد

نقره على المائدة من أطباق الملك والملكة، وازداد نبشه حيثما اتفق، وكذلك تجواله حيثما يشاء من الأمكنة، وتوسيخه بالروث حيثما حلّ، بل وعلى عرش الملك بالذات. هذا فضلاً عن صياحه ليل نهار: كوكوكوكوا كوكوكوكوا فصمت لصياحه الآذان وبدأ الناس يشتمون بأفواه مطبقة:

- اللعنة على هذا الديك وعلى من ربّاه!

في يوم كان على الملك أن يراسل ملكاً آخر. تناول الورقة والريشة والمحبرة وكتب الرسالة ثم تركها على الطاولة ليجفّ حبرها. جاء الديك ووسّخها، فوق توقيع الملك بالذات.

- أيّها الديك القذر! سأعفو عنك هذه المرّة. أمّا في الثانية فأنا الذي سيتدبّر أمرك!

أعاد الملك كتابة الرسالة وتركها على الطاولة ليجفّ حبرها. جاء الديك ووسّخها، فوق توقيع الملك بالذات.

انطفأ النور في عيني الملك من شدّة الحزن:

- أيّها الديك القذر! أنا الذي سأتدبّر الآن أمرك. ادعوا لي الطبّاخ.

جاء الطبّاخ.

- اصنع بهذا الديك شواء معتبراً.

خلعوا في المطبخ عنقه وغرزوه في سيخ الشواء. عندما حان وقت الغداء وضعه الطبّاخ على

المائدة. بدأ صاحب الجلالة بتقطيعه وتوزيعه: فلهذا الجناح، ولذلك الفخذ، وللآخر قطعة من الصدر... واحتفظ لنفسه بالرقبة والرأس مع العرف والدالية.

ما إن انتهى من طعامه، حتّى سمع صوتاً ينفجر في أعماق معدته:

- كوكوكوكوا

عمّ الاستياء وساد الفزع. استدعوا أطبّاء القصر على وجه السرعة.

- لا بُدَّ من شقّ بطن الملك! لكن من له بهذا؟

بينما كان الديك يصيح من حين لآخر من داخل معدة صاحب الجلالة:

- كوكوكوكوا

- استدعوا العجوز – قال الملك.

كانت تلك تقف بالصدفة على باب القصر الملكيّ لتطلب الصدقة، فقادوها إلى الأعلى.

- يا عجوز الشياطين! بأيّ سحر سحرت تلك البيضة؟ لقد أكلت رأس الديك فبدأ يصيح داخل معدتي. إذا لم تخلّصيني منه فاعتبري نفسك في عداد الأموات!

- صاحب الجلالة، أمهلني يوماً واحداً.

عادت إلى بيتها في الحال.

- آه يا دجاجتي، لقد استدعاني الملك وقال لي:

((لقد أكلت رأس الديك فبدأ يصيح داخل معدتي)). سأموت إذا لم أخلّصه منه.

- ليس للأمر أهميّة يا عجوزي. خذي غداً شيئاً من علف الطيور وارجعي إلى الملك وقولي: تع تع تع! فما إن يسمع الديك الصوت حتى يخرج.

وهذا ما حدث.

كان الأمر غريباً حقّاً. ازدادت شهرة الديك فعاد ليفعل أسوأ ممّا كان يفعل.

في يوم قبل الفجر:

- كوكوكوكو! صاحب الجلالة، أريد دجاجة.

- فلنقدّم له دجاجة!

في اليوم التالي قبل الفجر:

- كوكوكوكو! صاحب الجلالة، أريد دجاجة ثانية.

فلنقدّم له دجاجة ثانية!

الخلاصة أنّه طلب منها دزّينتين.

في يوم آخر قبل الفجر:

كوكوكوكو! صاحب الجلالة، أريد مخالب من ذهب.

فكانت المخالب من ذهب!

أصبح الديك ديكاً جميلاً بمخالب ذهبيّة وصار يجوب مختالاً كالطاووس وهو ينقر هنا وينقر هناك.

في يوم آخر قبل الفجر:

كوكوكوكو! صاب الجلالة، أريد عرفاً مزدوجاً من ذهب.

فكان عرف مزدوج من ذهب!

بدأ الملك يتضايق لكنّ الديك صار يجوب مختالاً كالطاووس بعرفه الذهبي ومخالبه الذهبية وهو ينقر هنا وينقر هناك.

وأخيراً في يوم آخر قبل الفجر:

كوكوكوكو! صاب الجلالة، أريد نصف المملكة، فأنا لي تاج كما لك تاج!

هنا فقد الملك صبره:

- أبعدوه عن وجهي، هذا الديك الوقح!

لكن كيف لهم هذا؟ فلا جدوى من قتله، فهو ينبعث من موته. ونفيه بعيداً لا يأتي بنتيجة، لأنه سيعود. أما مسايرته فهي أسوأ، لأنه يقابل ذلك بالسخرية. أصيب الملك باليأس فأرسل وراء العجوز.

- إذا لم تخلّصيني من هذا الديك فسأقطع رأسك!

- صاحب الجلالة، أمهلني يوماً واحداً.

وعادت إلى بيتها في الحال:

- آه يا دجاجتي! لقد استدعاني الملك: ((إذا لم تخلّصيني من هذا الديك فسأقطع رأسك!)). بماذا

أجيب؟

- قولي: صاحب الجلالة: ليس عندك أولاد، تبنَّ هذا الديك فستجد أنه قد هدأ.

شعر الملك أنّه أسقط في يده بعدما نفدت حيلته، فقرّر أن يتبنّاه. لكنّ هذا لم يجدِ نفعاً.

انقلب القصر الملكيّ إلى قنّ بذلك العدد الكبير من الدجاج. شعر الملك والملكة والوزراء وسيدات القصر والخدم أنهم مغمورون بالروث، من أخمص أقدامهم إلى أعلى رؤوسهم، ولم يكن بمقدورهم التحمل. هذا فضلاً عن أصداء النقيق والصياح، لقد أصبحت رؤوسهم كالطبول.

وكان الشعب يشتم بأفواه مغلقة:

- اللعنة على الديك، على الدجاج وعلى من يربّي الدجاج!

- اسمعي أيتها الساحرة – قال الملك – إذا لم تخلصيني بعد يوم واحد من هذا الديك والدجاجات من قصري فستدفعين رأسك ثمناً لهذا.

- صاحب الجلالة، هذا يحتاج للجنّية الساحرة مورغانا، يجب أن تستدعيها.

استدعى الملك الجنّية الساحرة مورغانا، فأجابت الساحرة:

- صاحب الحاجة يجب أن يأتي، ومن لا يريد فليرسِل.

كان على الملك إذن أن يذهب بنفسه.

- صاحب الجلالة، ما لم ينقلب ذلك الديك إنساناً مثلك، فإنّه لن يترككم في سلام.

- لكن ماذا نصنع لكي ينقلب إنساناً مثلي؟

- يلزمه ثلاثة أنواع من العلف. احفر ثلاثة شروخ بيدك وانثر فيها هذه البذور الثلاثة. احصدها وادرسها من غير أن تخلط بينها، ثمّ قل:

من يريد، هناك مزيدا

وانثر على الأرض هذا النوع من القمح حتّى لا تبقى منه حبة:

من يريد، هناك مزيدا

وانثر على الأرض هذا النوع الآخر من القمح حتّى لا تبقى منه حبة:

من يريد، هناك مزيدا

ثمّ انثر على الأرض هذا النوع الأخير من القمح حتّى لا تبقى منه حبة.

اجتهد الملك في تنفيذ كلّ التعليمات. وعندما حان الوقت:

من يريد، هناك مزيدا

مات نصف الدجاجات.

من يريد، هناك مزيدا

ماتت بقيّة الدجاجات.

من يريد، هناك مزيد!

بقي الديك ينقر وحده، وما إن نقر آخر حبّة قمح حتى انسحب. استطال وصاح كوكوكو! ثمّ اهتز فانتزع الريش عن جسمه وانقلب إلى فتى طويل القامة جميل. لم يبق فيه من الديك سوى العرف والمخالب. لكن لا يهم.

قال الملك للشعب:

- ليس لي أولاد، فهذا سيكون أميركم، فاحترموه وأطيعوه.

- عاش الأمير! عاش الأمير!

لكنّهم كانوا يتمتمون همساً:

- سنرى. من يولد ديكاً فإنّه يصيح ولا يتكلّم.

بعد عدّة أشهر انقلب الأمير حزيناً وصار يفضّل الوحدة ولا يتكلّم مع مخلوق.

- ماذا بك يا بنيّ؟

- صاحب الجلالة، لا شيء..

لم يرغب بالإفصاح لأنّه كان يخجل كلّما شعر أنّه يشتهي شهوة عظيمة الصياح بـ كوكوكوكو!

استدعوا أطبّاء القصر، بل وأطبّاء من خارج المملكة، من أقدر الأطبّاء. لم يفهم منهم أحد شيئاً.

- ربّما كنت الأمير تريد أن تتزوّج؟

- لا أريد أن أتزوّج.

- ماذا تريد إذن؟ وما أردت سيتحقّق لك.

- أريد أن أصيح كوكوكوكو!

كان لا بُدَّ من الترخيص له بذلك: فروّح عن نفسه طيلة النهار.

عندها قطعوا له العرف، فنسي تلك الشهوة.

والشعب:

- سنرى! من يولد من دجاجة فلا بدّ أن ينبش.

بعد عدّة أشهر عاد الأمير إلى حزنه. وصار يفضّل الوحدة ولا يتكلّم مع مخلوق.

- ماذا بك يا بنيّ؟

- صاحب الجلالة، لا شيء.

لم يرغب بالإفصاح لأنّه كان يخجل كلّما شعر أنّه يشتهي الخروج لينبش.

عادوا واستدعوا الأطبّاء لكن لم يفهموا شيئاً.

- ربّما كنت تريد أن تتزوّج؟

- لا أريد أن أتزوّج.

- ماذا تريد إذن؟ وما أردت سيتحقّق لك.

- أريد أن أخرج لأنبش.

كان لا بُدَّ من الترخيص له بذلك.

عندها قصّوا له المخالب، فنسي تلك الشهوة.

جاء وقت تزويجه:

- هل تعجبك يا بنيّ أميرة إسبانيا؟

- صاحب الجلالة، إذا كان عليَّ أن أتزوّج فسأتزوّج بدجاجة.

هل هذا إذن عود على بدء؟

كان الملك يومها متعكّر المزاج، فسحب سيفه وقطع له رأسه.

لكن بدلاً من الدم البشريّ، نزف منه دم دواجن.

جاءت حينه العجوز:

- صاحب الجلالة، ها قد انتهت القصّة.

لصقت له رأسه بلعابها فعاد الأمير حيّاً يرزق.

اطمأنّ الآن وهدأ بعد أن أصبح رجلاً عن حق.

بعد ذلك بقليل تزوّج أميرة إسبانيا. ثمّ أصبحا ملكاً وملكة يعملان أعمالاً صالحة.

وهنا تنتهي الحكاية.

ابنة الملك

كان يا ما كان

كان هناك ملك وملكة، وكان عندهما ابنة وحيدة يحبّانها كما يحبّان مآقي عيونهما.

أرسل ملك فرنسا في طلب يدها.

وبما أنّ الملك والملكة لا يستطيعان التخلّي عنها، فقد أجابا:

- إنّها ما زالت طفلة صغيرة.

بعد عام أرسل ملك إسبانيا.

فاعتذر هذان بالطريقة نفسها:

- إنّها ما زالت طفلة صغيرة.

لكنّ الملكين استاءا من هذه الإجابة. فاتّفقا واستدعيا ساحراً:

- عليك أن تعمل سحراً لابنة الملك، بل أسوأ سحر ممكن.

- سيتمّ لكما هذا بعد شهر من الآن.

بعد أن مضى الشهر حضر الساحر:

- هذا هو. قدّما هذا الخاتم هديّةً لها. ستريان النتيجة إذا وضعته في أصبعها مدّة أربع وعشرين ساعة.

لم يتمكّنا طبعاً من تقديم هذه الهديّة، لأنّهما أصبحا على خلاف مع ذويها. فما العمل؟

- أنا سأتدبّر الأمر.

تنكّر ملك إسبانيا في ثياب بائع جواهر وفتح دكّانه مقابل القصر الملكي.

أرادت الملكة أن تشتري جواهر فأرسلت في طلبه.

ذهب بعدما وضع الخاتم في علبة خاصّة.

بعد أن اشترت الملكة أشياء كثيرة، سألت ابنتها:

- ألا تريدين أنت أيضاً شيئاً ما؟

- لا أرى هنا أيّ شيء جميل. أجابت الأميرة.

- لديّ خاتم نادر، لا بدَّ أن يعجبك.

وعرض عليها البائعُ المتنكّر ذلك الخاتم المسحور.

- آه، يا لجماله! يا لجماله! كم سعره؟

- أيّتها الأميرة، هذا لا يقدّر بثمن. لكنّني أقبلُ بالذي تدفعينه.

قدّمت له مبلغاً كبيراً، فذهب.

وضعت الأميرة الخاتم في إصبعها وكانت تتأمّله في كلّ لحظة بإعجاب.

- آه ما أجمله! ما أجمله!

لكن ما إن حلّ الليل بعد أربع وعشرين ساعة:

- أي! أي! أي!

أسرع إليها الملك والملكة وسيّدات القصر يحملن الأضواء في أيديهن.

- ابتعدوا عنّي! ابتعدوا عنّي! لقد استحلتُ إلى مِزَقٍ وخروق.

وبالفعل فقد تحوّل جسد الأميرة المسكينة إلى مجموعة خروق.

اشتدّ الحزن بالملك والملكة فلا عزاء يعزّيهما. وتمّ استدعاء مجلس التاج.

- ما الذي يمكننا فعله؟

- صاحب الجلالة، أذيعوا إعلاناً يعِدُ أنّ من يفلح في شفاء الأميرة يصبح صهراً للملك.

انطلق المذيعون بطبولهم ومزاميرهم في جميع أنحاء المملكة.

- من يفلح في شفاء الأميرة يصبح صهراً للملك!

كان في المدينة فتى ابن نعّال. عندما وجد أنّهم يموتون في بيتهم من شدّة الجوع، قال لأبيه:

- امنحني يا أبي بركاتك وارضَ عنّي، فأنا ذاهب لأبحث عن حظّي في هذا العالم.

- ليرضَ الله عنك يا بنيّ ويباركك.

فانطلق الفتى في رحلته.

خرج إلى الحقول فقابل في إحدى الطرق مجموعة من الفتيان كانوا يصرخون ويرمون الحصى على ضفدع صغير ليقتلوه.

- ماذا فعل لكم؟ إنّه مخلوق من مخلوقات الله، دعوه وشأنه.

عندما وجد أنّ الفتية يواصلون أذاهم قفز في وسطهم فصفع هذا ولكم ذاك ثم فرقهم بينما تمكّن الضفدع من القفز ليختبئ في جحر قريب.

سار الفتى بعدها وسار حتّى التقى بالمذيعين الذين كانوا يقرعون الطبول ويعزفون المزامير وهم يقولون:

- من يفلح في شفاء الأميرة يصبح صهراً للملك!

- ممّ تشتكي الأميرة؟

- لقد تحوّلت إلى خروق.

حيّاهم وتابع سيره حتّى بات ليلته في سهل من السهول. نظر حوله ليجد مكاناً يستريح فيه، والتفت فرأى إلى جانبه امرأة جميلة. جفل من شدّة الخوف.

- لا تخف. إنّي جنيّة ساحرة، وقد جئت لأشكرك.

- تشكرينني؟ على ماذا؟

- لقد أنقذتَ حياتي. هذا هو قدري: في النهار أصبح ضفدعاً، وفي الليل جنيّة. إنّي تحت أمرك!

- أيتها الجنيّة الساحرة الطيبة، لقد تحوّلت الأميرة إلى خروق، ومن يشفيها يصبح صهراً للملك. ارشديني إلى دواء، وهذا يكفيني.

- خذ هذا السيف في يدك وسر إلى الأمام، سر إلى الأمام حتّى تصل إلى غابة مليئة بالأفاعي

والحيوانات الشرسة. لا تخف منها، بل سر إلى الأمام حتّى تصل إلى قصر الساحر. عندما تصل إليه اقرع الباب ثلاث مرّات.
أي إنّها علّمته كلّ التفاصيل التي عليه أن يقوم بها:
- وإذا شعرت بالحاجة إليّ، فتعال لزيارتي.
شكرها الفتى وانطلق في سيره. سار وسار حتّى وجد نفسه داخل غابة وبين الحيوانات الشرسة. يا للخوف! كانت تزعق وتصر أسنانها وتفغر أفواهها، لكنّه واصل سيره وتقدّم من غير أن يلتفت إليها. وصل أخيراً إلى قصر الساحر، وطرق الباب ثلاث مرّات.
- أيّها المتهوّر، أيّها المتهوّر! ماذا أتيت لتفعل في هذا المكان البعيد؟
- إذا كنت الساحر بحقّ، فتعال وتعارك معي.
استشاط الساحر غضباً وخرج متنكّباً كلّ أسلحته، لكن ما إن رأى ذلك السيف في يده، حتّى صاح:
- يا لمصيبتي!
ثمّ خرّ راكعاً:
- وفّر عليّ حياتي على الأقلّ!
- فكّ سحر الأميرة، فتبقَ حيّاً.
سحب الساحر من جيبه خاتماً وقال له:

- خذ هذا الخاتم وضعه في خنصر اليد اليسرى للأميرة، فينفكّ السحر.

غمرت السعادة الفتى فذهب إلى الملك:

- صاحب الجلالة، هل صحيح أنّ من يشفي الأميرة يصبح صهر الملك؟

- صحيح، صحيح بالفعل!

- إنّي إذن على استعداد لأشفيها.

استدعوا الأميرة، وتجمّعت حوله حاشية القصر. لكن ما إن أدخل الخاتم في إصبعها حتّى اشتعلت الأميرة ناراً! صرخ الجميع. تمكّن الفتى وسط تلك الفوضى من الفرار ولم يتوقّف إلّا حيث ظهرت له الساحرة:

- أينك أيّتها الساحرة؟

- تحت أمرك.

قصّ عليها المصيبة التي أصابته.

- لقد سخر منك! خذ هذا الخنجر ارجع إلى الساحر: سترى هذه المرّة أنّه لن يسخر منك.

وأخبرته بكلّ التفاصيل التي عليه أن يتّبعها.

انطلق الفتى في الحال وطرق الباب ثلاث مرّات.

- أيّها المتهوّر، أيّها المتهوّر! ماذا أتيت لتفعل في هذا المكان البعيد؟

- إذا كنت الساحر بحقّ، فتعال وتعارك معي.

استشاط الساحر غضباً وخرج متنكّباً كلّ أسلحته، لكن ما إن رأى ذلك الخنجر في يده، حتّى خرّ راكعاً:

- وفّر عليّ حياتي على الأقلّ!

- أيّها الساحر الشرّير، لقد سخرت منّي! لذلك فإنّك ستبقى مقيّداً هنا في الأصفاد حتّى ينفكّ السحر.

ربطه وأحسن وثاقه وغرز الخنجر في الأرض ثمّ علّق به سلاسل القيد، بحيث لا يتمكّن الساحر من الإتيان بحركة.

- أرى أنّك الأقوى ارجع إلى الأميرة واسحب من يدها خاتم بائع الحلي والجواهر فينفكّ السحر.

خجل من مقابلة الملك، لكنّه تشجّع وتقدّم إليه بعدما علم أنّ الأميرة لم تصب إلّا بحروق طفيفة لأنّ أفراد الحاشية أطفؤوا فوراً لهيب النيران.

- صاحب الجلالة، لم يكن الذنب ذنبي، بل كان ذنب الساحر الخائن. أمّا الآن فالأمر مختلف. إذ يكفي أن نسحب الآن من إصبع الأميرة الخاتم الذي اشترته من بائع الجواهر، حتى ينفكّ السحر.

وهكذا كان. رجعت الأميرة جسداً من لحم ودم، لكنّها ظهرت كجذع شجرة، ليس لها لسان ولا عينان ولا أذنان لأنّ النيران أتت عليها. إذا لم يشفها شفاء كاملاً فلن يستطيع أن يصبح صهراً

للملك.

انطلق وعاد إلى المكان الذي ظهرت له فيه الساحرة:

- أينك أيّتها الساحرة؟

- تحت أمرك.

أخبرها بكلّ ما صابه.

- لقد سخر منك!

فأخبرته بكلّ التفاصيل الذي عليه أن يتبعها.

عاد الفتى إلى الساحر.

- أيّها الساحر الشرّير، لقد سخرت منّي! العين بالعين والسنّ بالسن!

- الرحمة، دعني وشأني! اذهب إلى أخواتي، فهنّ أعلم منّي. عليك أن تفعل كيت وكيت.

سار ثمّ سار حتّى وصل إلى ريف فيه قصر شبيه بقصر الساحر. طرق الباب.

- من أنت؟ ماذا تريد؟

- أبحث عن القرن الذهبيّ الصغير.

- فهمت، لقد أرسلك أخي. ماذا يريد منّي؟

- يريد قطعة من القماش الأحمر لأنّ معطفه قد ثُقب.

- هذا المزعج! خذ، هذه هي.

ألقت له من النافذة قطعة من قماش أحمر مفصّلة

على شكل لسان.

تقدّم في سيره حتّى وصل إلى سفح جبل يوجد في وسطه قصر شبيه بقصر الساحر. طرق الباب.

- من أنت؟ ماذا تريد؟

- أبحث عن يد صغيرة من ذهب.

- فهمت، لقد أرسلك أخي. ماذا يريد منّي؟

- يريد حبّتي عدس للحساء.

- هذا المزعج! خذ، ذانك هما.

ورمت له من النافذة حبّتيْ عدس ملفوفتين في قطعة ورق.

تقدّم في سيره حتّى وصل إلى وادٍ فيه قصر شبيه بقصر الساحر. طرق الباب.

- من أنت؟ ماذا تريد؟

- أبحث عن قدم صغيرة من ذهب.

- فهمت، لقد أرسلك أخي. ماذا يريد منّي؟

- يريد حلزونين ليأكلهما على العشاء.

- هذا المزعج! خذ، ذانك هما.

وألقت له من النافذة الحلزونين المطلوبين.

عاد الفتى إلى الساحر:

- جئت بكلّ شيء.

أخبره الساحر بالذي عليه أن يفعله، وكان في سبيله للانطلاق:

- هل تتركني هنا في أصفادي؟

- هذا ما تستحقّه. لكنّي سأفكّ قيودك. ويا لمصيبتك إذا خدعتني!

تقدّم الفتى نحو القصر الملكيّ وطلب أن يأخذوه إلى الأميرة.

فتح لها فمها ووضع فيه قطعة القماش الحمراء فصار للأميرة لسان. لكنّ الكلمات الأولى التي تفوّهت بها كانت ضدّ الفتى:

- أيّها النعّال البائس! اخرج من هنا! اخرج من هنا!

اضطرب الفتى المسكين:

- هذا من عمل الساحر!

لكنّه لم يلتفت لهذا، بل أخذ حبّتي العدس ولصقهما بشيء من لعابه على حدقتي عينيها المطفأتين، فعاد للأميرة بصرها. لكنّها ما إن رأته حتّى غطّت عينيها بيديها.

- إلهي كم هو بشع! كم هو بشع!

اضطرب الفتى المسكين:

- هذا من عمل الساحر!

لكنّه لم يلتفت لهذا، بل أخذ الصدفتين بعد أن أفرغهما من الحلزون ثمّ أحسن لصقهما بشيء من لعابه في مكان الأذنين. فأصبح للأميرة أذنان.

التفت الفتى نحو الملك وقال:

- صاحب الجلالة، لقد أصبحت صهراً لك.

ما إن سمعت الأميرة صوته حتّى صاحت:

- قال عنّي إنّي ساحرة! قال إنّي ساحرة!

ذهل الفتى أمام هذه الأقوال الجديدة:

- هذا من عمل الساحر!

عاد إلى الساحرة.

- أيّتها الساحرة، أين أنت؟

- تحت أمرك.

أخبرها بالمصائب التي أصابته.

ابتسمت الساحرة وسألته:

- هل خلعت من يدها الأخرى خاتم الساحر؟

- لا، على ما يبدو لي.

- اذهب لترى، يبدو لي أنّ هذا هو السبب.

ما إن خلعت الأميرة الخاتم الثاني من يدها حتّى عادت هادئة لطيفة.

فقال لها الملك:

- هذا هو عريسك.

تعانقت الأميرة والفتى أمام الجميع، وأقيمت بعد أيّام احتفالات العرس.

أصبحا زوجين.

فكان له من الشجرة ثمرة وبقي لنا منها ورقة.

سربنتينا، الحيّة الصغيرة

كان يا ما كان،

كان هناك ملك وملكة. وكانت الملكة حاملاً.

في يوم من الأيّام مرّت غجريّة من نساء الغجر تتنبأ وتبشّر. أرسل إليها الملك من يناديها:

- ماذا ستلد الملكة؟

- صاحب الجلالة، ستلد حيّة.

فامتقعت وجوه الحاضرين.

- وماذا يفعلون بها؟ هل يقتلونها ما إن تلد؟ أم يربونها؟

- يجب أن نربّيها.

أمّا الملكة المسكينة فقد غرقت في بكاء شديد:

- ومن سيرضع حيواناً مقرفاً مثل الحيّة؟ لا بدّ أنّها ستموت من الرعب! وماذا لو عضّت لها ثديها؟

- صاحبة الجلالة، لا تخافي، لأنّها ستكون بسنّ واحدة من ذهب.

وفي الواقع فقد وضعت الملكة حيّةً صغيرة جميلة، كانت مدهامة خضراء اللون، وما إن ولدت حتّى انزلقت بين يدي القابلة وتوجّهت نحو ثدي أمّها وبدأت ترضع.

عندما أخلدت إلى النوم، فتح الملك فمها فرأى أنّ فيه سنّاً واحدة بالفعل، سنّاً من ذهب. لكنّه

أراد ألّا يذاع أمر مصيبته هذه فأشاع أنّ الملكة وضعت طفلة جميلة وأنّهم سمّوها سربنتينا، أي الحيّة الصغيرة.

كانت سربنتينا تكبر بسرعة، وكانت السنّ الذهبية تبرق في فمها وتلمع كلّما فتحته.

في يوم من الأيّام مرّت تلك الغجريّة فأرسل الملك وراءها:

- أخبريني بمصير سربنتينا.

- سواء كان حلواً أم مرّاً؟

- حلواً أو مرّاً.

أخذت الغجريّة ذنب سربنتينا بيدها وبدأت تراقبه بانتباه. وهي تهزّ برأسها.

- لماذا تهزّين رأسك أيّتها الغجريّة، ماذا ترين؟

- صاحب الجلالة، أرى مصائب!

- أوَليس لها علاج؟

- صاحب الجلالة، عليك أن تسأل من هي أعلم منّي: الجنّية الساحرة الحدباء.

- وأين يمكن إيجاد هذه الجنّية الساحرة الحدباء؟

- اذهب سيراً إلى الأمام لثمانية أيّام، واصطحب معك خبزاً ونبيذاً، احذر أن تحيد! ولا تلتفت إلى الوراء. في اليوم الثامن ستجد أمامك مغارة: هناك تعيش الجنّية الساحرة الحدباء.

- حسناً – قال الملك – غداً سأسافر.

أخذ معه مؤونة ثمانية أيّام وغذّ السير. عندما بلغ منتصف الطريق:

- صاحب الجلالة! صاحب الجلالة!

همّ بالالتفات، لكنّه تذكّر توصية الغجريّة، فتابع طريقه المستقيم.

في يوم آخر سمع خلفه صراخ مخلوق بشريّ:

- أي! سيقتلونني! أي!

توقّف الملك متردّداً لأنّ القلب يتفتّت لذلك الصراخ!... همّ بالالتفات، لكنّه تذكّر توصية الغجرية، فتابع طريقه المستقيم.

في يوم آخر سمع خلف ظهره ضجيجاً شديداً، كما لو أنّه ضبح خيلٍ تعدو بسرعة.

- حذارِ! حذارِ!

ارتعب وهمّ بالالتفات، لكنّه تذكّر توصية الغجرية، فتابع طريقه المستقيم.

عندما وصل أمام المغارة، بدأ ينادي:

- أيّتها الجنّية الساحرة الحدباء! أيّتها الساحرة الحدباء!

- ليس أحدب إلّاكَ! أجاب صوت من الداخل.

شعر الملك المسكين أنّ حملاً بدأ يثقل ظهره، لمسه، فإذا بحدبة قد برزت عليه.

- ما العمل الآن؟ كيف يعود وهو على هذه

البشاعة؟

قرّر أن يعود خلال الليل حتّى لا يراه أحد، لكنّ الملكة لاحظت ذلك الانتفاخ على كتفيه فسألته:

- صاحب الجلالة، ماذا تحمل على ظهرك؟

- أحمل مصيبتي!

وقصّ عليها كيف سارت الأمور.

قرّرت الملكة أن تحاول هي بنفسها:

- يمكن أن تتفاهم النساء مع بعضهنّ بعضاً.

تزوّدت بمؤونة الخبز والنبيذ لثمانية أيّام، وانطلقت.

في منتصف الطريق سمعت:

- صاحبة الجلالة! صاحبة الجلالة!

نسيت فالتفتت فوجدت نفسها في النقطة التي انطلقت منها.

- صبراً! سأبدأ من جديد.

في المرّة التالية، بعد أكثر من منتصف الطريق سمعت خلفها ضجيجاً شديداً كأنّه ضبح خيلٍ تعدو:

- حذارِ! حذارِ!

التفتت من شدّة الخوف، فوجدت نفسها مرّة أخرى في النقطة التي انطلقت منها.

عندها قالت للملك بدهاء:

- صاحب الجلالة، سدّ لي أذنيّ بالقطن وصبّ فوقه الشمع، وهكذا فإنّي لن أسمع شيئا وأتمكّن من الوصول إلى الجنّية الساحرة الحدباء. وإلّا فإنّي لن أصل أبداً.

سدّ لها الملك أذنيها بتلك الطريقة فانطلقت.

عندما وصلت أمام المغارة حرّرت أذنيها وطرقت. طرقت وطرقت لكن أحداً لم يجب. لم تشأ أن تنادي، فبدأت بضرب الباب بكلتي يديها وبالعصا.

- من الطارق؟ صرخ صوت في النهاية – من تريدون؟

- إنّي أنا: أريد الجنّية الساحرة.

- أيّة جنّية ساحرة؟ لدينا كثير من الساحرات!

- الجنّية الساحرة الحدباء.

أفلتت الكلمة من فمها.

- لا حدباء إلّاكِ!

لمست الملكة كتفيها. لقد برزت لها حدبة بالفعل.

عادت في الليل كي لا يراها مخلوق، لكنّ الملك نظر أوّل ما نظر إلى ظهرها.

- صاحبة الجلالة، ماذا تحملين على ظهرك؟

- أحمل مصيبتي!

وقصّت عليه كلّ أخبارها.

- أوَيحدث هذا كلّه بسبب سربنتينا! فلنسحق رأسها! كلّ سوء الطالع بسببها.

لم يعرف الملك ماذا يفعل.

- لكن أليست من دمنا ولحمنا؟

- سأتصرّف وحدي - قالت الملكة.

بخفيةٍ عن الملك، نادت أحد حرّاس القصر:

- خذ هذا الصندوق واذهب به إلى الغابة. عندما تصلِ اجمع كومة حطب وضعه فوق الكومة ثمّ أوقد النار، ولا ترجع حتّى يتلاشى الصندوق.

- صاحبة الجلالة، أمركِ.

هذا بينما أمر الملك باستدعاء الغجريّة:

- أخبريني عن مصير سربنتينا.

- سواء كان حلواً أم مرّاً؟

- حلواً أم مرّاً.

- صاحب الجلالة، سربنتينا تجابه خطر الموت:

- وإذا ماتت سربنتينا، مملكتك بالدمار رهينة.

- ومن أين يأتي خطر الموت وهي في القصر؟

- صاحب الجلالة، إنّها لم تعد في القصر.

عندما علم الملك بالذي فعلته زوجه بدأ ينتف شعره:

- لقد حلّت المصيبة بنا. آه يا سربنتينا أينك الآن؟

فجاء صوت من البعيد البعيد:

- صاحب الجلالة، إنّي في الغابة.

- وماذا تفعلين في الغابة؟

- أسمع أصواتاً غريبة.

فأمر الملك:

- جهزّوا لي أفضل حصان في حظيرتي!

امتطى الحصان وانطلق كالصاعقة على طريق الغابة. وكان يتوقّف بين الفينة والأخرى ليصرخ:

- سربنتينا، أين أنت يا سربنتينا؟

- صاحب الجلالة، في وسط الغابة.

أصبح الصوت الآن أقرب.

- وماذا تفعلين هنا؟

- الحرّ شديد هنا.

كان الملك يغرز المهماز في خاصرة الحصان ويودّه لو يطير طيراناً. ما إن أصبح وسط الغابة حتى رأى لهب نار عظيمة.

أصبح الصوت الآن أقرب بكثير.

- وماذا تفعلين هنا؟

- أغيّر جلدي يا صاحب الجلالة!

اقترب الملك من الكومة الملتهبة، وسحب

الصندوق من بين الجمر غير عابئ بالحروق. فتح الصندوق على عجل فرأى فتاة رشيقة جميلة تخرج منه، لكنّ جلدها كان كلّه مبرقشاً مثل جلد الحيات.

- لقد أسرعت جدّاً يا صاحب الجلالة، فلن أستطيع أن أتزوّج بعد الآن!

لم تتمكّن سربنتينا من تبديل جلدها. فاشتدّ بها الحزن وعزّ العزاء، فأجهشت في البكاء:

- اتركني وحيدة هنا. سأذهب إلى الجنّية الساحرة الحدباء.

لم يفلح الملك في حملها على تغيير رأيها، فتركها في وسط الغابة وعاد إلى القصر الملكي.

لكنّ سربنتينا دارت هنا ودارت هناك ولم تجد المخرج. رأت صرصاراً:

- يا صرصار، أيّها الصرصار الجميل، لك منّي هدية جميلة إذا قدتني إلى الجنّية الساحرة الحدباء.

- لكنّي لا أعرفها.

وانطلق بعيداً.

بعد قليل شاهدت جرذاً صغيراً، جُريذاً.

- جريذ، أيّها الجريذ الجميل، لك منّي هديّة رائعة إذا قدتني إلى الجنّية الساحرة الحدباء.

- لكنّي لا أعرفها.

وانطلق بعيداً.

بعد قليل شاهدت عندليباً على قمّة شجرة.
- عندليب، أيّها العندليب الجميل، لك منّي هديّة رائعة إذا قدتني إلى الساحرة الحدباء.
- آسف، لكنّي لا أستطيع. إنّي أنتظر الحلوة ذات السنّ الذهبيّة، ستمرّ من هنا بعد قليل.
- عندليب، أيّها العندليب الجميل، إنّي أنا الحلوة ذات السنّ الذهبية.
وأظهرت له سنّها الذهبيّة.
- آه يا أميرتي الحسناء! منذ سنين وأنا أنتظرك.
وفجأة تحوّل العندليبُ وأصبح أجملَ فتًى في هذا الوجود، فأخذها من يدها وقادها إلى خارج الغابة.

عندما وصلا إلى المغارة، طرق الفتى الجميل الباب.

- من الطارق؟
- إنّي أنا مع سربنتينا.
- ماذا تريدان؟
- الجنّية ملكة الساحرات.

انشقّت المغارة وظهر القصر الكبير الذي تعيش فيه الجنّية الساحرة الحدباء، لكن يجب أن تدعى بلقب الجنّية ملكة الساحرات وإلّا استاءت.
- أهلاً بك يا بنيّتي! كنت أنتظرك منذ وقت طويل. هذا الفتى هو ابن ملك سحرته ساحرة ولا

يفكّ سحره إلّا الفتاة ذات السنّ الذهبيّة. عليكما الآن أن تتزوجا.

لكنّ منظر الأميرة بذلك الجلد المبرقش كان منظراً مرعباً حقّاً. بدأت الجنّية الساحرة بفركها من أسفل قدميها حتى قمّة رأسها، فنظّفتها في وقت قليل حتى إنّها تغيّرت كلّها فانقلبت فتاة رائعة الجمال تبهر الأنظار.

استشاطت الملكة غضباً عندما علمت أنّ سربنتينا أصبحت في طريق العودة:

- إذا جاءت هي فإنّي سأذهب! إنّها سبب مصائبنا!

لكنّها عندما علمت أنّها ستجيء ومعها المرهم الذي يزيل الحدبة، ذهبت لملاقاتها برفقة الملك وجميع الحاشية.

أقاموا حفلات رنّانة طنّانة وعاشوا جميعهم بسرور ووئام.

ونحن في أمان ننظّف الأسنان.

الدرهم المثقوب

كان يا ما كان،

كان هناك امرأة مسكينة صارت أرملة وعلى صدرها ولد صغير. كانت سقيمة، عليلة الصحة، وبما أنّ عليها أن ترضع الصغير فلم يكن بوسعها أن تعمل لفترة طويلة، ومع هذا كانت تقوم بخدمة بعض جاراتها كي لا تموت هي وابنها بسبب الجوع.

كان الولد جميلاً كالشمس، وفي كلّ صباح كانت أمّه تغسله، تمشّط شعره، وتلفّه بثيابه، ثم تغنّي له تسلّياً وتفاؤلاً:

- طفلي الصغير، ستكون باروناً!

- طفلي الصغير، ستكون دوقاً(١)!

- طفلي الصغير، ستكون أميراً!

- طفلي الصغير، ستكون ملكاً!

كلّما قالت أمّه ستكون ملكاً كان الطفل يشير بنعم برأسه، وكأنّه يفهم المقصود.

في يوم من الأيّام مرّ الملك بالذات من هناك وعندما سمع قولها طفلي الصغير، ستكون ملكاً استاء استياء شديداً، خاصّة أنّه حزين لأنّه لم يرزق بولد.

- أيّتها الصديقة - قال لها - لا تجازفي، ولا تكرّري هذه الأقوال، وإلّا يا لمصيبتك!

أصيبت المرأة المسكينة بذعر شديد، وكفّت عن كلّ كلام. لكنّ الطفل صار يبكي ويصرخ كل صباح عندما يجد أمه صامتة لا متكلّم ولا تغني له بعد أن تغسله، وتمشّط شعره، وتلفّه بثيابه.

فكانت تكرّر عليه:

- طفلي الصغير، ستكون باروناً! ستكون دوقاً! ستكون أميراً!

لكنّ الطفل لم يسكت. لذلك فقد جرّبت مرّة وعادت لتقول له همساً:

- طفلي الصغير، ستكون ملكاً!

أشار الطفل برأسه الصغير أن أجل، وكأنّه يفهم المعنى، ثمّ كفّ عن البكاء.

لذلك فقد اقتنعت المرأة أنّه سيكون لابنها شأن كبير. لكنّها خشيت من غضب الملك ففكّرت بأن تهاجر إلى بلد آخر.

بعد أن فطمت ابنها أصبحت تتمكّن من العمل لوقت أطول، وعندما كانت تذهب للعمل كانت ترجو جارة لها:

- صديقتي، الطفل في رعايتك، سأذهب وأعود في دقيقتين.

حدث مرّة أنها تأخّرت، وتضايقت الجارة من حمل ذلك الشقي الذي لا ينقطع عن البكاء بين ذراعيها لأنّه يريد أمّه. في تلك اللحظة ظهر بائع الملابس القديمة:

- ملابس قديمة، يا نساء، خرق بالية!

- هل تشتري هذه الخرقة منّي؟

- أشتريه إذا اتفقنا.

- أبيعك إيّاه بدرهم.

تناول البائعُ الطفلَ منها ووضع في يدها درهماً مثقوباً.

ضحكت هي وجاراتها الموجودات قربها من المنظر، بينما دار البائع حول منعطف الطريق واختفى. فجرت خلفه، وجرت ونادت... من رآه؟ من رآه؟

تصوّروا بكاء تلك الأمّ المسكينة ونحيبها عندما علمت بالمصيبة!

أسرعت وذهبت إلى الملك:

- العدل يا صاحب الجلالة!... لقد سرقوا ابني!

- طفلي الصغير، ستكون ملكاً! كرّر الملك أقوالها ليسخر منها.

ثمّ أبعدها وهو سعيد لأنّ سوء الطالع قد ابتعد عن ذريته.

جرت الدموع في عيني المرأة المسكينة، كالنهر الجاري. كانت تجوب طيلة النهار وتوقف الناس:

- أيّها الناس الطيّبون هل منكم من التقى ببائع الملابس القديمة الذي سرق ابني؟

الناس الذين لا يعرفون شيئاً عن الموضوع ظنّوها

مجنونة وكانوا يضحكون في وجهها.

في يوم المصيبة أعطتها الجارة ذلك الدرهم المثقوب الذي وضعه البائع في يدها، لكنّ المرأة المسكينة رمته من شدّة غضبها.

في اليوم التالي فتحت الصندوق فوجدت الدرهم المثقوب في داخله.

- أيّها الدرهم الملعون، لا أريد أن أراك أمام وجهي!

ثمّ رمته من جديد خارج النافذة.

وأغلقت الصندوق وهي كئيبة حزينة.

- لو كان عشر ليرات على الأقل، لكنت اشتريت به خرقة بالية أرتديها!

لم تنتهِ من قول هذه الكلمات حتّى سمعت داخل الصندوق رنين الدراهم. أدهشها الأمر ففتحت الصندوق مرّة أخرى. يبدو أنّ ذلك الدرهم قد توالد. كان موجوداً إلى جانب الكثير من النقود بما مجموعه عشر ليرات على التمام والكمال.

منذ ذلك الحين كان يكفيها أن تقول كلّما احتاجت نقوداً:

- يا درهمي الصغير، أريد مئة ليرة، ألف ليرة!

وفي الحال تحضر المئة ليرة والألف ليرة.

لم تكن تلك المرأة الطيّبة تحتفظ بهذا الخير لنفسها فقط بل كانت تعطي الصدقات لكلّ

الأشخاص المحتاجين مثلها. فأصبحت بهذا نعمة وبركة هبطت من السماء.

لكنّها كانت تفعل كلّ ذلك الخير وصورة ابنها المفقود تراود خيالها:

- ما نفع كلّ هذا الخير وابنها بعيد عنها؟ لكنّها كانت ترجو أن تسلوا يوماً وأن يستجيب الله لها.

في تلك الأيّام اعترت الملك نزوةٌ فقرّر أن يشتري جواداً من أفضل الخيول. انطلق بعد أن عقد الاتّفاق ليأخذ النقود من الصندوق الذي يحفظ به خزنته، فلاحظ أنّ مبلغاً معتبراً قد اختفى من الصندوق.

وضع هناك حارسين ليمسكا باللّص، بعد مرور بضعة أيّام عاد ليرى الذي حصل، فوجد أنّ مبلغاً معتبراً آخر قد اختفى!

لذلك فقد كمن هو بنفسه، خاصّة وأنّه شكوكه حامت حول وزرائه.

في يوم سمع صوتاً في الهواء بعيداً جدّاً:

- يا درهمي الصغير، أريد ألف ليرة!

وفي الحال تحرّكت النقود في الصندوق، كأنّ هناك من يأخذ منها حفنات كثيرة.

عجّل وفتح الصندوق فوجد أنّ ألف ليرة قد ذهبت، على الرغم من أنّه لم يكن هناك أحد.

- كيف تسير هذه القصة؟

فقد الملك عقله.

وعلى الرغم من أنّه كان بخيلاً إلى حدّ ما، فإنّ ما كان يستاء منه حقّاً هو عدم وجود أولاد له. كان يحمّل الذنب للملكة، وكأنّها هي السبب، وكان يعاملها بقسوة.

- لم تكن صالحة لإنجاب ولد له، حتّى لو كان من فخار!

استاءت الملكة من كلامه فصنعت له بيديها دمية تمثّل صبياً من فخّار.

- ألا ترى أنّها صالحة لذلك!

سارع الجميع إلى القصر الملكي لمشاهدة دمية الفخّار التي كانت رائعة بالفعل. وجاءت أيضاً تلك المرأة المسكينة.

- آه يا إلهي! إنّه ابني بالفعل!... لكنّي لم أقصد أن أراك ملكاً بهذه الطريقة، آه يا بنيّ!

وبدأت تبكي.

استشاط الملك غضباً عندما سمع هذا الكلام. فركل دمية الفخّار وهشّمها وصيرها في ألف قطعة.

بدا للمرأة المسكينة أنّها ترى ابنها المفقود يتهشّم تحت ناظريها. لكن ماذا بوسعها أن تقول لصاحب الجلالة؟ فابتلعت هذه المرارة الجديدة وعادت إلى بيتها بصمت وهدوء.

هذا بينما كانت النقود في صندوق الملك تتناقص بعد ظهور ذلك الصوت البعيد جداً، في الهواء.

- يا درهمي الصغير، أريد مئة ليرة! أريد ألف ليرة!

وبمقدار ما كان ذلك الصوت يطلب كان يسحب ذلك اللصّ الخفيّ من الصندوق.

وضع الملك جواسيس ليكتشف صاحب ذلك الصوت، وبالفعل فقد أحضر الجواسيس أمامه في يوم أمّ الولد المفقود وفي يديها القيود والأصفاد.

- كانت هي التي قالت: يا درهمي الصغير، أريد مئة ليرة!

لم يشأ الملك حتّى أن يسمع حجّةً للمرأة المسكينة التي رغبت أن تقصّ عليه كيف جرت الأمور، بل أمر بإلقائها في غياهب السجن.

لكنّه من يومها لم يشعر براحة أو سكينة.

فإذا ما عزم على الخلود إلى النوم، كان يُنزَع عنه الغطاء.

- صاحب الجلالة، لا مجال للنوم.

من المتكلّم؟ لا يرى أحداً.

وإذا جلس إلى المائدة ليتناول الطعام؟ كان الطبق يسحب من أمامه.

- صاحب الجلالة، لا مجال للأكل.

من المتكلّم؟ لا يرى أحداً.

لو طال الأمر أمداً آخر لمات الملك من شدّة الجوع. لذلك فقد أرسل في استشارة ساحر عجوز.

لم يجب الساحر (وكان هو بائع الملابس القديمة الذي لم يختطف الطفل إلّا ليحميه) إلّا بعبارة:

- طفلي العزيز، ستكون ملكاً!

عندما وجد أنّ هذا هو القَدر وأنّه لا يريد أن يموت من الجوع بدأ الملك بفكّ أسر المرأة المسكينة، وعاد فأرسل للساحر:

- كيف لنا أن نتقصّى أثر الطفل؟ لقد اختطفه بائع ألبسة قديمة ولم يعرف عنه خبر.

أجاب الساحر:

- لمّ قطع دمية الفخّار واجمعها إلى بعضها والصقها بلعابك.

لمّ الملك على مضض قطع الدمية ولصقها بلعابه.

- والآن؟

- الآن - أجاب الساحر - حضّر لحفل باهر عظيم وافعل كذا وكذا.

حضّر الملك كلّ شيء على أحسن وجه، ثمّ أرسل، حسب إرشادات الساحر، في استدعاء أم الطفل إلى القصر الملكيّ وأجلسها إلى جانب الملكة.

شوهدت دمية الفخّار موضوعةً وسط الصالة وحولها الوزراء والأمراء والفرسان ينتظرون في حفل كبير.

عندما حان الوقت، سُمع صوت في الطريق:

- ملابس قديمة يا نسوة، ملابس قديمة!

على وقع هذا الصوت انفجرت دمية الفخّار وخرج منها شابّ فتيّ جميل بين رنين نقود تتناثر وتتدحرج من جميع الجهات.

سرّ الملك أيّما سرور خاصّة أنّ جميع نقوده قد عادت إليه، وأراد أن يعانق الفتى وكأنّه ابنه، لكنّه جرى أوّلاً نحو أمّه ولم يفارق صدرها.

- طفلي العزيز، ستكون ملكاً!

وبما أنّ الملك قد تبنّاه فقد أصبح أميراً بالفعل!

هنا دخل واحد من الحرس وقال:

- يوجد هناك بائع ملابس قديمة، وهو يريد أن يعاد له درهمه المثقوب.

لم يكن الملك على علم بشيء من الأمر، لكنّ المرأة أجابت في الحال:

- ها هو ذا.

بعدما سمع الملك قصّة ذلك الدرهم فكّر أنّه من الأفضل أن يحتفظ به هو. لذلك فقد خرج وثقب درهماً آخر وأعطاه لبائع الملابس القديمة.

لكنّ أمره انقلب عليه بكلّ سوء.

فا إن قال:

- يا درهمي الصغير أريد ألف ليرة!

حتّى جاءه الألف، لكنّه كان من سياطٍ جَلَدَتهُ ألف جلدة ، وهكذا مات شرّ ميتة.

- طفلي العزيز، ستكون ملكاً!

وتحقّق الأمر.

الورقة قصيرة والطريق طويلة، قولوا ما عندكم، فأقوالي كانت جميلة.

(1) - الدوق والبارون لقبان من ألقاب النبلاء في أوروبا.

ترا را را

كان يا ما كان،

كان هناك فلّاح يملك حقلاً، وكان الحقل بعرض كفّ اليد ومليء بالحجارة. بنى الفلّاح في الحقل كوخاً من قش وعاش فيه. من عام لآخر كان يفلح ويزرع ويعزق ويحصد أي يقوم بكلّ أشغال الحقل.

في ساعات الراحة كان يسحب من جيبه مزماراً ثم يعزف معزوفة ترا را را نفسها ليتسلّى بعض الوقت، ويستأنف عمله بعد ذلك.

وهكذا كان ذلك الحقل الصغير المحجر يثمر له أكثر من مزرعة كبيرة. فإذا ما حصد الجيران عشرين كيلا كان هو يحصد مئة على أقلّ تقدير. لذلك كان جيرانه يتآكلون من الحسد. على الرغم من أنّهم كانوا ذات مرّة يترددون بشراء ذلك الحقل حتى لو قدّم لهم هدية، فإنّهم ما إن أصبح الحقل بحوزته حتى احتاروا فيما يفعلون لكي ينتزعوه منه.

- هل تريد يا صديقي أن تتخلّص من تلك الحجارة؟ هناك من يدفع لك ثلاث مرّات أكثر من ثمن الحقل.

- هذه الحجارة هي ملكي: ولا أعطيها حتّى للمليكي.

مرّ ذات مرّة في المكان الملك بنفسه، وبرفقة

وزرائه. دهش الملك لمرأى ذلك الحُقيل بخضرةٍ كخضرة الفردوس يانعة مثمرة، بينما حوله حقول كقشِ المكانس، صفراء، مجدبة، لذلك فقد قال لوزرائه:

- يا له من حقل رائع الجمال! بودّي حقّاً أن أشتريه!

- صاحب الجلالة، هذا الحقل لا يباع. صاحبه رجل غريب الأطباع يجيب الجميع قائلا:

- هذه الحجارة هي ملكي: ولا أعطيها حتّى لمليكي.

- أريد أن أراه إذن.

وبالفعل فقد استدعي الفلّاح.

- هل حقّاً أنك لا تعطي هذا الحقل حتّى لمليكك؟

- إن لصاحب الجلالة حقولاً كثيرة فماذا يفعل بحجارتي؟

- لكن إن هو أراده؟

- هذه الحجارة هي ملكي: ولا أعطيها حتّى لمليكي.

تظاهر الملك أنّه لم يستأ من كلامه، لكنّه أرسل في الليلة التالية مئة من الحرس فداسوا بصمت وسكون كلّ الزرع ولم يبقوا على نبتة ولا عشبة. في الصباح خرج الفلّاح من كوخه، فماذا رأى؟

يا له من منظر! كما وجد كلّ جيرانه يتصنّعون الحزن والدهشة بينما كانوا يتلذذون بالمنظر.

- آه أيّها الجار الحبيب! لو أنّك بعت هذه الحجارة لما أصبت بهذه المصيبة.

لكنّه لم يجب وبقي صامتاً متراخي الأطراف، كأنّه لم يسمع كلمة ممّا قيل له.

وبقي على وضعه حتّى ذهب جميع جيرانه، سحب عندها المزمار من جيبه وبدأ يعزف ترا را را، فبدأ الزرع ينتصب، ترا را را، انتصب الزرع كما لو أنّ المصيبة لم تحدث.

كان الملك واثقاً ممّا فعل فقام باستدعائه:

- هناك من يبغضك. أعرف أنّهم خرّبوا لك في الليلة الفائتة نصف الزرع. بعني تلك الحجارة، فالناس سيبتعدون عنها ما إن يعرفوا أنّها ملكي.

- صاحب الجلالة، هذا ليس صحيحاً على الإطلاق. فزرعي على أجمل صورة.

عضّ الملك على شفتيه:

إذن، هل أوامره لم تنفّذ!

اتهم وزراءه بعدم تنفيذ أوامره. لكنّه استاء أيّما استياء عندما أبلغه هؤلاء أنّ الحرس المساكين عادوا وهم لا يستطيعون حراكاً من شدّة الدوس ووطأة التعب في تلك الليلة.

- فلنرسل إذن الجيش كلّه في ساعة متأخّرة من

هذه الليلة.

في الصباح خرج الفلّاح من كوخه. فماذا رأى؟ يا للهول المشهد! رأى الحقل وقد سويّ كلّه بالأرض!

والجيران:

- آه أيّها الجار الحبيب! لو أنّك بعت هذه الحجارة لما أصبت بهذه المصيبة الجديدة.

لكنّه لم يجب وبقي صامتاً متراخي الأطراف، كأنّه لم يسمع كلمة ممّا قيل له.

عندما ذهب الجيران لشؤونهم، سحب المزمار من جيبه و ترا را را. فطلع الزرع.

ترا را را فنما الزرع وأينع كما لو أنّ المصيبة لم تحدث.

كان الملك على قناعة تامّة هذه المرّة أنّه الفائز. فأراد أن يرى ذلك الرجل وكيف ستكون محنته!

وما إن أصبح في حضرته:

- هناك من يبغضك. أعرف أنّهم قاموا في الليلة الفائتة بتحطيم الزرع كلّه. بعني إذن تلك الحجارة لأنّ الناس عندما يعرفون أنّها لي فإنّهم سيبتعدون عنها.

- صاحب الجلالة، هذا ليس صحيحاً على الإطلاق. فزرعي أجمل ممّا كان عليه.

عضّ الملك على شفتيه:

إذن، هل أوامره لم تنفّذ!

أيضاً اتهم وزراءه بعدم تنفيذ أوامره. لكنّه استاء أشد الاستياء عندما أبلغوه أنّ العلف ملأ في تلك الليلة بطون الجيش كلّه فكادت تنفجر بل إنّ نصفه مات بسبب التخمة!

- إنّ في الأمر سرّاً لا بُدَّ من اكتشافه. أعطيكم ثلاثة أيام!

لا يمكن المزاح مع الملك. لذلك فقد بدأ الوزراء يحكّون رؤوسهم، ليمعنوا في التفكير، ففكّروا وفكّروا حتى اقترح أحدهم الذهاب ليلاً، والاختباء خلف كوخ ذلك الفلّاح اللعين، والانتظار هناك حتى مطلع الفجر. فمن يدري؟ لا بد أن يكتشفوا شيئاً.

- رائع!

ذهبوا. وبما أنّهم وجدوا شقوقاً كثيرة على جدران الكوخ فقد بدؤوا يتجسّسون من خلالها.

لم يتمكّن الملك من النوم في تلك الليلة لأنّه بقي يفكّر فيما يمكن أن يحدث. فاستدعى الوزراء.

- صاحب الجلالة، لو تعرف ماذا رأينا! ماذا رأينا!

- وما هذا الذي رأيتموه؟

- لدى ذلك الفلّاح مزمار ما إن يبدأ بالنفخ فيه ترا را را، حتى ينقلب كوخ القش الذي يسكنه إلى قصر مشيد.

- وبعدها؟

- بعدها تأتي فتاة جميلة، أجمل من القمر والشمس، فيبدأ هو بـ ترا را را، فترقص على أنغام عزفه، ثم يقول لها:

- فتاتي، يا فتاتي الجميلة، إذا أراد الملك إليك سبيلا،

عليه أن يقضي تحت مطر وشمس، سبع سنين طويلة.

وإذا لم يقضِ تحت شمس ومطر سبع سنين طويلة،

فالملك لن يحظى بك يا فتاتي الحلوة الجميلة.

- وبعدها؟

- بعدها يتوقّف عن العزف فينقلب القصر بغتةً كوخاً من جديد.

- سأريه أنا الشمس والمطر – قال الملك، وبما أنه أُخِذ بوصف ذلك الجمال فقد أضاف: لكن لنرَ قبلها معجزة ذلك الجمال!

وهكذا فقد ذهب في الليلة التالية برفقة وزرائه:

وها هو الفلّاح يسحب المزمار من جيبه، ثمّ ترا را را فينقلب الكوخ بغتة قصراً مشيداً، ثمّ ترا را را فتظهر الفتاة وتبدأ بالرقص، ما إن رآها الملك حتى جن جنونه:

- آه ما أجملها، يجب أن تكون لي، يجب أن

تكون لي!

لم يهدر مزيداً من الوقت بل طرق الباب عدّة مرّات.

توقّف الفلّاح عن العزف، فعاد القصر بغتةً كوخاً من جديد. أمّا الباب، فلا مجال أبداً لأن يفتح. وهكذا اضطرّ الملك لأن يعود إلى قصره، وبما أنه كان يحترق بنفاد صبره، فلم يتمكّن من النوم قبل أن يرسل سفيراً بهماز مضروب:

- إنّ الملك يريدك في الحال.

مثل الفلّاح في حضرته:

- صاحب الجلالة، بماذا تأمرني؟

- آمرك وأريد أن أتزوّج فتاتك. ستصبح هي الملكة وتصبح أنت وزير البلاط الملكيّ.

- صاحب الجلالة، هناك شرط:

من يريد إلى ابنتي سبيلا،

عليه أن يقضي تحت مطر وشمس، سبع سنين طويلة.

وإذا لم يقضِ تحت شمس ومطر سبع سنين طويلة،

فلن يحظى بك، مهما كان شأنه، يا فتاتي الحلوة الجميلة.

كان بودّ الملك أن يريه ما هي الشمس وما هو المطرا لكنّ الفتاة كانت في وسط الأمر. لذلك

فقد انكمش بين كتفيه وأجاب:

- سأبقى سبع سنين تحت الشمس والمطر.

ترك الحكم لوزرائه طيلة وقت غيابه وذهب ليعيش مع الفلاح، تلسع الشمس جلده بحرها وتغرقه الأمطار حتى لو انهمرت بغزارة المزاريب.

تغيّرت هيئة الملك بعد وقت قصير، حتّى بدا كأنّه من حمأ مسنون. عوضه عن عذابه أنّ الفلّاح كان في الليل يسحب من حين لآخر مزماره من جيبه، لكنّه كان يحذّره قبل أن يعزف:

- صاحب الجلالة، تذكّر هذا جيّداً:

اللمس رمس
والحكي كيّ!

ثمّ ترا را را فينقلب الكوخ بغتة قصراً مشيداً، ترا را را فتظهر الفتاة أجمل من الشمس والقمر مجتمعين.

كان الملك يلتهمها بعينيه وهي ترقص. كان يجتهد اجتهاداً عظيماً كي لا يهجم عليها ليعانقها وليقول لها ستكونين مليكتي. كان الهوى يحرقه كاللظى!

بعد مضيّ سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيّام صار يفرك يديه من شدّة الفرح.

بعد قليل ستصبح تلك الفتاة الأجمل من

الشمس والقمر زوجاً له وعروساً! سيعود بها إلى القصر الملكيّ ملكاً أكثر ممّا كان ومغتبطاً أكثر ممّا كان!

لكن من سوء طالعه أنّ الفلاح سحب ذات مرّة مزماره من جيبه وبدأ بالعزف قبل أن يحذّره:

- صاحب الجلالة، تذكّر هذا جيّداً:

اللمس رمس
والحكي كيّ!

لذلك فما إن عزف ترا را را... وظهرت الفتاة الأجمل من الشمس والقمر وبدأت بالرقص، حتّى فقد الملك صبره وهجم عليها وعانقها وهو يقول:

- ستكونين الملكة! ستكونين الملكة!

في مثل البرق، ماذا وجد بين ذراعيه عوضاً عن الفتاة؟ وجد غصناً مكشوطاً غليظ العقد!

- صاحب الجلالة، لقد سبق وأن حذّرتك:

اللمس رمس
والحكي كيّ!

تصلّبت ملامح الملك:

- عودٌ على بدء إذن؟

- عودٌ على بدء!

فعاد إلى البداية.

انشوى تحت الشمس:

- شمسي يا شمسي

أتحرّق على حلوتي!

واخضلّ بماء المطر:

- مطري يا مطري

أتحرّق على حلوتي!

عندما كان الفلّاح يسحب مزماره من جيبه ويبدأ معزوفة ترا را را وتظهر الفتاة وترقص، كان الملك يلتهمها بعينيه وهو قابع في زاويته صامتاً أخرس ساكناً بلا حراك، مثل الزيت عندما يرقد في قعر الإناء. فلقد كره العود على بدءٍ جديد.

انقضت سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام مرّة أخرى، فبدأ الملك يفرك يديه من شدّة الفرح.

لكن من سوء طالعه أنّ الفلّاح سحب ذات مرّة مزماره من جيبه وبدأ بالعزف فظهرت الفتاة الأجمل من الشمس والقمر وبدأت بالرقص كما لم ترقص من قبل، بنعومة وجمال ودلال! وهنا فقد الملك صبره من جديد وهجم عليها وعانقها وهو يقول:

- ستكونين الملكة! ستكونين الملكة!

في مثل البرق. ماذا وجد بين ذراعيه؟ وجد غصناً مكشوطاً غليظ العقد!

- صاب الجلالة! يا صاحب الجلالة!

اللمس رمس

والحكي كيّ!

تصلّبت ملامح الملك:

- عودٌ على بدء إذن؟

- عودٌ على بدء!

فعاد إلى البداية.

- شمسي يا شمسي

أتحرّق على حلوتي!

- مطري يا مطري

أتحرّق على حلوتي!

احترس هذه المرّة كلّ الاحتراس، فبعد انقضاء السنين السبعة المطلوبة حصل أخيراً على الفتاة الأجمل من الشمس والقمر مجتمعين. لم يصدّق عينيه! لكن ما الذي حدث في تلك الأثناء؟ حدث أن وزراءه والشعب كلّه اعتبر الملك مجرّد إنسان مجنون فنسوه وتوّجوا منذ وقت طويل أحد أقربائه بدلاً منه.

توجّه الملك نحو القصر الملكيّ وهو يمسك بيد الملكة، لكن ها هم حرس القصر:

- ممنوع الدخول! ممنوع الدخول!

- أنا الملك! نادوا على وزرائي!

أيّ وزراء؟ فالقدامى ماتوا ووزراء الملك الجديد تركوه يغني.

توجّه نحو الشعب:

- وكيف؟ ألا تتذكّرون مليككم؟

ضحك الشعب في وجهه ولم يصغ إليه مخلوق.

عندما اشتدّ به اليأس عاد إلى الفلّاح في حقل الحجارة. دهش كلّ الدهشة عندما وجد بدل الكوخ بناء مثل القصر. صعد على الدرج فقابله بدل الفلّاح شيخ مهيب طويل اللحية جميل: كان ذلك هو الساحر سابينو.

- لا تيأس! قال له الشيخ.

أخذه من يده وقاده نحو صالة رائعة بهيّة، فيها حوض مليء بالماء. أمسك كبير السحرة بالحوض وقلّبه على رأس الملك فتلاشت ملامح الشيخوخة من على وجهه وظهر كأنه قد عاد عشرين سنة إلى الوراء غضّاً نضر الوجه.

قال له الشيخ:

- انظر من تلك النافذة، اعزف على المزمار وسترى.

أطلّ الملك من النافذة، وبدأ بالعزف، ترا را را، فظهر جيش بكامل العدّة والعدد، كثيفاً في منظره كأنه الضباب، منتشراً على السهول والهضاب. أعلن الحرب، وبينما كان الجنود يقاتلون واصل هو العزف على أعلى الهضبة: ترا را

را حتى تحقق النصر.

عاد إلى القصر الملكي ظافراً منتصراً وأعلن في عموم البلاد شهراً من الاحتفالات بمناسبة زفافه.

وسرعان ما أنجب وريثاً للعرش.

وبقينا نحن بأقدام حافية.

رأس الضفدع

كان يا ما كان

كان هنالك ملك وكان هنالك ملكة.

وضعت الملكة، فوُلدت طفلةٌ أجمل من الشمس في السماء. تكبّرت الملكة فخراً بهذه الطفلة الجميلة فكانت في كثير من الأحيان تردد:

- لا يمكن حتّى للساحرات أن يضعن ابنةً بهذا الجمال.

لكنّها عندما ذهبت في الصباح لتأخذها من مهدها وجدت أنّها مُسخت وأصبح رأسها كرأس الضفدع.

- آه يا إلهي، يا للرعب!

على الرغم من أنّ الطفلة كانت ابنتها الوحيدة، على الرغم من أنّها كانت تحبّها كلّ الحبّ، لكنها اشمأزّت منها وامتنعت عن إرضاعها.

حزن الملك أيّما حزن، فقال لخادمه:

- خذها واحملها إلى الأسفل، ضعها بين الجراء الذين وضعتهم الكلبة. أمّا إذا ماتت فسيكون هذا أفضل لها.

لم تمت. فالكلبة كانت تمتنع مرّتين أو ثلاث مرّات كلّ يوم عن إرضاع جرائها لتلقي بأثدائها إلى رأس الضفدع. بل كانت تلحسها وتنظّفها وتدفئها بتقريبها إليها وضمها، ولم تكن تسمح لأيّ

كان أن يمدّ يده إليها أو أن يلمسها.

عندما كان الملك والملكة ينزلان لرؤيتها كانت الكلبة تحمحم وتكشف عن أنيابها، وعندما حاولت الملكة مرّة أن تأخذ ابنتها هجمت الكلبة عليها وعضّت يدها وساقها.

هذا بينما كانت رأس الضفدع تنمو في الحظيرة. ولم تقبل عندما كبرت أن تخرج منها. كانت في النهار تسكن في الأعلى بين غرف القصر الملكي وتتناول طعامها على مائدة الملك بحضور الملكة وكلّ حاشية البلاط، لكنّها كانت قبل أن تبدأ طعامها تأخذ أفضله وتملأ به مئزرها ثمّ تنزل به إلى حظيرة الكلاب.

- يا أمّي الكلبة، كلي، فأنت أمّي الحقيقيّة!

وكانت تنام في الليل هناك مع أمّها الكلبة. ولم يكن هناك من طريقة لحملها على النوم في سريرها.

بدأت الملكة تكره هذه البنت كرهاً شديداً وكأنّها ليست ابنتها، ذلك بعدما كانت تسمعها وهي تكلّم الكلبة قائلة: - يا أمّي الكلبة، كلي، فأنت أمّي الحقيقيّة!

وهكذا فقد قالت ذات مرّة للملك:

- صاحب الجلالة، لا، أبداً، هذه ليست ابنتنا. لا بدّ أنّ بعضهم بدّلها عندما كانت في المهد. فما نحن فاعلين بمثل هذا المسخ؟ إنّي أرى أن نأمر بقتلها.

لم يشعر الملك بالجرأة على ارتكاب مثل هذا العمل الوحشي:

- مسخ أو غير مسخ، فهي من مخلوقات الله.

عندها أقسمت الملكة بأن تتخلّص منها في السرّ.

فبماذا فكّرت؟ فكّرت بأن تتصنّع أمام الملك بأنها حبلت من جديد، وعندما حانت ساعة الولادة قدّمت له طفلة ولدت لتوّها اشترتها بوزنها ذهباً من بلد قريب.

سرّ الملك أيّما سرور وسمّى الطفلة زنيبقة أي الزنبقة الصغيرة، لأنها كانت بيضاء مثل الزنبق.

عندها قالت له الملكة:

- لقد رزقنا الآن بهذه الطفلة، فما هي حاجتنا لتلك البنت المسخ؟ أرى أن نأمر بقتلها.

قبل الملك على مضض بهذا الاقتراح، حباً بهذه الطفلة الجديدة.

لكن ما إن ذهبوا ليأخذوا رأس الضفدع ليقتلوها، وجدوا على باب حظيرة الكلاب الكلبة الأمّ وهي تنبح وتحمحم وتكشف عن أنيابها.

كما لم تقبل رأس الضفدع بأن تخرج من الحظيرة.

- لماذا لا تأتين معنا؟

- لأنكم ستقتلونني.

- ومن أخبرك بهذا؟

- أخبرتني أمّي الكلبة.

ففكّرت الملكة الخبيثة باستدراجها بالكلام اللطيف.

- هذا ليس صحيحاً يا حمقاء، تعالي إلى الأعلى، تعالي لتشاهدي أختك الصغيرة التي وضعتها.

- لم تولد لي أيّة أخت صغيرة،
بل بالذهب اشتريتم طفلة أسيرة
الكلبة أمّي، فيا أمّي الكلبة
أنت أمّي، أنت الكلبة.

- ما معنى هذا؟ تساءل الملك.

- وهل تعيرون أهمّية لكلامها؟ إنّ رأس الضفدع تتكلّم كلام الحيوانات.

لكنّ الملك قال:

- سأعاقب كلّ من يلمس رأس الضفدع بسوء. مسخاً أو غير مسخ فهي مِن خلقِ الله. بل إنها هي الأميرة الفعلية لأنها هي البنت البكر.

استاءت الملكة كلّ الاستياء. وبماذا فكّرت؟ فكّرت باللجوء إلى ساحرة:

- اصنعي لي ثوبين متشابهين، كلّهما ذهب وماس، على أن يكون أحدهما مسحوراً يحترق بمن يرتديه.

- ستحصلين عليهما بعد سنة.

تصنّعت الملكة في هذه الأثناء أنّها تحبّ ابنتيها

بالمقدار نفسه، لا بل إنها كانت عندما تشتري دميةً أو حلى لزنيبقة كانت تشتري أجمل منهما لرأس الضفدع.

لذلك فإنّ زنيبقة عندما كانت ترى الهديّة الأخرى أجمل من هديّتها كانت تصرخ:

- أريد تلك الهديّة لي!

فكانت رأس الضفدع تعطيها إيّاه.

بعد انقضاء السنة عادت الملكة إلى الساحرة.

- صاحبة الجلالة، الثوبان جاهزان وعليك الحذر من الخلط بينهما. وتجنّباً لأيّ خطأ وضعت ماسة زائدة على هذا الثوب المسحور.

- فهمت.

نادت على ابنتيها وقالت لهما:

- هاكما ثوبان جميلان، جرّبا أن ترتديهما في الحال لنرى إذا كان المقاس مطابقاً. هذا هو ثوبك يا رأس الضفدع.

لكنّ زنيبقة عدّت في الحال ماسات الثوبين فوجدت أنّ في ثوب رأس الضفدع ماسة زائدة، لذلك فقد بدأت تصرخ:

- أريد ذلك الثوب لي!

لكنّ الملكة منعتها من لمسه.

بينما واصلت زنيبقة الصراخ وبدأت تضرب الأرض بقدميها:

- أريد ذلك الثوب لي! أريد ذلك الثوب لي!

أسرع الملك إليهم وقال:

- ألا ترين أنّ مقاس ذلك الثوب أكبر من مقاسك؟ جرّبيه لتقتنعي.

فهمّت بارتدائه.

- لا، يا صاحب الجلالة! قالت رأس الضفدع.

- ثوب جميل صنع بالبريق
ثوب جديد صنع للحريق
الكلبة أمّي، فيا أمّي الكلبة
أنت أمّي، أنت الكلبة.

- ما معنى هذا؟ تساءل الملك.

- وهل تعيرون أهمّية لكلامها؟ إنّ رأس الضفدع تتكلّم كلام الحيوانات.

لكنّ الملك قال:

- من يلمس رأس الضفدع بسوء فإنّه لا يسيء إلّا لنفسه. بل إنّها هي الأميرة الفعليّة لأنّها هي البنت البكر.

استاءت الملكة من هذا الأمر الجديد، ولم تجد اختراعاً جديداً تفعله.

واشتدّ استياؤها عندما رأت أنّ أمير البرتغال وصل وأنّه يبحث عن أميرة ليتزوّجها.

فقالت الملكة للملك:

- علينا على الأقلّ أن نعرض عليه الاثنتين فيختار بينهما.

أراد الملك أن يسايرها فقال:

- لكِ هذا.

رغب الأمير بزيارة الأميرتين في حجراتهما فقادته الملكة أوّلاً إلى الشقّة الفخمة التي تعيش فيها زنيبقة. ظهرت زنيبقة أمامه بأبهى ثيابها كنجمة متألقة.

قال الأمير:

- هل من الممكن أن تكون الأميرة الأخرى بجمال هذه الأميرة؟ هيّا بنا لنرها. لكن أين نذهب؟

- إلى حظيرة الكلاب. الثانية تعيش في حظيرة الكلاب.

دهش الأمير ونزل إلى حظيرة الكلاب برفقة الملك والملكة، فوجد رأس الضفدع في الحظيرة:

- ادخل وحدك أيّها الأمير، فالمكان لا يتّسع إلّا لشخص واحد.

دخل الأمير فأغلقت رأس الضفدع الباب. وربضت الكلبة الأمّ خلفه وهي تحمحم.

انتظروا ساعة وانتظروا ساعتين ولم يخرج الأمير. وكانت الملكة قلقة أكثر من الجميع لهذا التأخير:

- أيّة مزحة خبيثة يا ترى تدبّرها لنا الآن رأس

الضفدع!

ظهرت المزحة الخبيثة عندما خرج الأمير من الحظيرة وقال للملك:

- صاحب الجلالة، إنّي أطلب منك يد رأس الضفدع.

لم تتمكّن الملكة من استعادة وعيها لشدّة دهشتها:

- لكن ماذا فعلت في الداخل طيلة هذا الوقت؟

- قمت بجولة في أنحاء القصر. فالقصر الملكيّ يبدو كالحظيرة مقارنة بقصر رأس الضفدع.

نظر الملك والملكة في وجهي بعضهما بدهشة عارمة.

- هل تقول الحقّ أيّها الأمير؟

- أقول الحقّ.

كان على الملكة أن تبتلع هذه اللقمة المرّة مرّة أخرى. فبماذا فكّرت؟ فكّرت أن تتحقّق بنفسها من أقوال الأمير:

- أريد يا رأس الضفدع أن أرى قصرك!

- صاحبة الجلالة، هل تسمّين حظيرة الكلاب هذه قصراً؟

- أريد يا رأس الضفدع أن أنام ليلة إلى جانبك؟

- يجب أن تطلبي إذناً لهذا من الكلبة الأمّ، فهي

صاحبة البيت.

ذهبت الملكة للقاء الكلبة الأمّ:

- أيتها الكلبة الأم، أريد أن أزور قصركم.

- عو، عوا

- ماذا قالت؟

- قالت أجل.

- أيتها الكلبة الأم، أريد أن أنام ذات ليلة مع رأس الضفدع.

- عو، عوا!

- ماذا قالت؟

- قالت أجل.

كان على الملكة أن تنحني كي تتمكّن من الدخول إلى حظيرة الكلاب.

- هل هذا هو قصرك العظيم؟

- هذا هو: ألم أخبرك؟

خرجت الملكة مستاءة وهي تتمتم بعبارات في حقّ الأمير الذي ادّعى تلك الحماقات. لكنها ما إن خرجت حتى بدأت تشعر بحكّة وحرقة لا تحتمل في كلّ أطرافها وجسمها. لقد امتلأت من رأسها إلى أخمص قدميها بالقمل، وبما أنها تسلقت الدرج وهي تجري بسرعة وتنفض ثيابها، فقد نشرت القمل في كل مكان حتى إن أكواماً منه غطت الأرض وسودت لونها.

وحدث الشيء نفسه في قاعات القصر، وكانت كلّما نفضته عنها رتع في جسمها وقضمها وهي حيّة.

خلال دقائق تسلّق القمل وانتشر في أجسام الملك والوزراء وسيّدات القصر والحاشية، غزتهم تلك الحشرات الجائعة وكانت تعضّهم عضّاً يسلخ الجلد، فكان الجميع يصرخون:

- اللعنة على الملكة التي أرادت أن تدخل إلى حظيرة الكلاب!

أمّا الملك فقد أسرع وذهب إلى رأس الضفدع:

- ساعدينا يا بنيّتي!

- أيّتها الكلبة الأمّ ساعديهم!

بدأت الكلبة الأمّ تجوب في أنحاء القصر:

- عو، عو، عو، عو!

ما إن سمعها القمل وهي تنبح حتّى تسارع ليتسلّق جسمها.

لكنّ الملكة لم ترَ أنّها قد عوقبت بما يكفي فأصرت:

- يا رأس الضفدع سأجيء لأنام عندك هذه الليلة.

- صاحبة الجلالة، أفي مضجعي!

- سأجرّب ولو لمرّة واحدة.

دبّرت أمرها بأحسن ما تستطيع، ثمّ تصنّعت

النوم.

- لا بدّ أنّ هناك سرّاً في هذه الحظيرة، ويجب عليّ أن أكتشف هذا السر.

في منتصف الليل سمعت ضجيجاً كأنّه صوت انهيار جدار من الجدران. فتحت عينيها فانبهرت من الدهشة.

وجدت أمامها صفوفاً من الغرف، نخمة فاخرة بهية، حتّى إنّ غرف القصر الملكي لتبدو مجرّد اصطبلات إذا قورنت بها. كما رأت رأس الضفدع وهي نائمة في الصالة الأخيرة على سرير مزخرف بالذهب والأحجار الكريمة وعليه أغطية من حرير وشراشف بيض، أبيض من رغوة الصابون.

لم يكن رأسها رأس الضفدع المقزز، بل كانت فتاة جميلة رائعة الجمال، وما كانت زنبيقة الحلوة، البيضاء الناصعة البياض، لتظهر أمامها إلّا مجرّد جربوع وضيع.

غضبت الملكة وأعمى السخط عينيها، ففكّرت:

- سأدخل عليها وهي نائمة، وسأخنقها بيديّ هاتين.

لكنّ الجدار انغلق بغتة فضُرب على وجهها وبعج أنفها.

لم تنتظر طلوع الصبح بل عادت إلى غرفتها في الأعلى.

شعرت بغليان في جسمها وانتفاخ!... بسطت يديها فرأت أنّ حشرات القراد قد انتشرت عليها، من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها.

التفتت نحو الملك، فرأت أنّ القراد قد انتشر عليه كما انتشر عليها.

استيقظ الوزراء وسيّدات القصر بل كلّ حاشية البلاط الملكي، فوجدوا أنّهم جميعهم قد تغطّوا بالقراد من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين. ولم يكن أحد منهم ليستطيع مقاومة الألم وعذاب الحكّة.

- اللعنة على الملكة التي أرادت النوم في حظيرة الكلاب!

أسرع الملك مرّة أخرى إلى رأس الضفدع.

- بنيّتي، ساعدينا!

- أمّي الكلبة، ساعديهم!

لكنّ الكلبة الأمّ عو، عو، لا، وألف لا، لا تريد أن تساعدهم.

- بنيّتي، ساعدينا!

كيف تساعدهم؟ فالكلبة الأمّ كانت تجيب دائماً:

- عو، عو، لا، وألف لا!

في هذه الأثناء عاد الأمير ليتزوّج برأس الضفدع.

لكنّ الجميع كانوا منهمكين في انتزاع القراد بالمقصات لأنّ اقتلاعها باليد يسبب ألماً أشد. وكلّما انتزعوا بعضها وجدوا أنّ أعداداً أكبر ما زالت باقية:

- اللعنة على الملكة التي أرادت النوم في حظيرة الكلاب!

اشتدّ حنق الملك على الملكة فأمسكها من عنقها وقال لها:

- أيّتها الأنثى الخبيثة، ماذا فعلت حتّى جاءتنا كلّ هذه المصائب؟

لم تتمكّن الملكة من المقاومة فاعترفت بكلّ شيء، منذ أن قالت إنّه لا يمكن حتّى لساحرة أن تضع طفلة مثلها، ومنذ أن اشترت تلك الطفلة بالذهب على قدر وزنها، وحتّى طلبت تفصيل الثوب المسحور لتحرق به رأس الضفدع.

- لكنّي ندمت الآن وأطلب المغفرة من الساحرة!

ما إن نبست بهذه الكلمات حتّى سقط عن الأميرة رأس الضفدع القمي، وحتّى وجدت زنبقة نفسها وقد ارتدت ثياب الفلاحين مثلما كانت. أشرقت الأميرة ببهائها كالشمس حتّى إنّ من ينظر إليها عليه أن يغطّي عينيه بيديه. اختفى القراد واختفت كلّ آثاره.

وتزوّج أمير البرتغال بالأميرة،

وعاشا بكلّ هناء وسرور
ولم يبقيا لنا شيئاً من حبور

جُرَيْذ، الجرذُ الصغير

كان يا ما كان،

كان هنالك ملك فَقَد طمأنينة العيش منذ قالت له العرّافة العجوز:

- صاحب الجلالة، اسمع وأحسن الاستماع:

لا يريد الجُرَيْذُ قشدةً ولا فطيرة

بل يريد أن يتزوّج بالأميرة

وإذا لم يعطها الملك له بعِلّةٍ (5)

فجُرَيْذ سيقتله شرّ قتلة.

استشار الملك في الحال كلّ وزرائه، فأشار أحدهم:

- صاحب الجلالة، هل يمكن لجُرَيْذ أن يتزوّج بالأميرة؟ أعتقد أنّ تلك المرأة قد سخرت منك.

لكنّ الآخرين لم يكونوا بهذا الرأي.

- يجب أن نتجنّب هذه المصيبة ونقضي على كلّ الفئران في المملكة بينما لا تزال الأميرة طفلة في نطاقها.

لهذا فقد أعلن الملك إعلاناً على الملأ:

- يعاقب مدى الحياة كلّ من لا يربّي قطّاً، إذا كان يعيش في بيت، أو قطّين، إذا كان يعيش في قصر. ومن يقتل مئة جرذ يصبح باروناً.

أعطى الملك مثالاً بنفسه، فملأ البلاط الملكيّ

بالقطط معتبراً إيّاها أفضل من الحاشية ومن كلّ الوزراء. كما تمّ وضع حرس على كلّ الأبواب مزودين بمكانس في أيديهم بدل السيوف وكانوا مأمورين بإعلان الحرب بمجرد رؤية جرذ أو فأر.

فُتن الناس في بداية الأمر وانشغلوا في طول المملكة وعرضها باستحقاق رتبة البارون بتصيد الفئران.

وكلّما جاء أحد بجثة جرذ مقتول كان الملك يتنفّس الصعداء مسروراً.

- لقد أصبحتَ الآن باروناً!

- صاحب الجلالة، ما نفع لقب البارون وأنا لا أملك ثمناً لطعامي؟ قال له فلّاح ذات مرّة وقد أتاه بنصف ألف من الفئران بدل المئة المطلوبة.

- هذا صحيح – أجاب الملك.

وقدّم له هديّة معتبرة.

ما إن انتشر الخبر حتّى بدأ كلّ القادمين إلى البلاط يكرّرون الكلام نفسه:

- صاحب الجلالة، ماذا يفيدني أن أصبح باروناً وأنا لا أملك ثمناً لطعامي؟

لكنّ الملك الذي كان بخيلاً نوعاً ما، تضايق من كثرة الهدايا التي عليه أن يقدّمها، فبدأ يجيب:

- القرار واضح وصريح: يصبح باروناً.

لذلك فقد استاء الشعب، خاصّة وأنّ القطط

كانت كثيرة في البيوت وكانت كلّها تموء من الصباح وحتى المساء، لقد أصبحت الحياة لا تطاق، لكن هذه كانت أوامر الملك ولا بدّ من إطاعتها!

خلال سنوات قليلة لم يبق في كلّ المملكة فأر واحد، حتى بمليون ثمناً له.

لذلك فقد بدأ الملك يشعر بالأمان، وبما أنّ الأميرة كبرت فقد فكّر بتزويجها. وكان عدّة أمراء قد طلبوا يدها. لكنّ الأميرة، وكأنّما عن عمد وقصد، كانت تجيب في كلّ مرّة:

- صاحب الجلالة، أطلب التأجيل لسنة أخرى.

في هذه الأثناء حدث هذا: ففي بلدة من بلدات المملكة مغمورة بين الجبال كانت هناك امرأة فقيرة قد وضعت طفلاً مسخاً يثير الرعب، جسمه جسم إنسان لكنّ جسمه جسم فأر وله مخالب فأر وذنب فأر.

ارتعبت أمّه هي والقابلة لهذا المشهد، حتى إن القابلة اشمأزّت من لمس ذلك الوحش الصغير واقترحت خنقه.

لكنّ أمّه لم يطاوعها قلبها، بل طلبت من القابلة:

- لا تبوحي بشيء من هذا لأيّ مخلوق يا صديقتي!

وفي الواقع لم يعلم أحد شيئاً عن هذا الأمر، وهكذا نشأ الطفل وترعرع قوياً نشيطاً مثل كل

الفئران. لكنه كان يسير على ساقين مثل الإنسان، وكانت أمّه تلبسه ثياباً لا تكشف من جسمه إلّا عن وجهه، كما كانت تضع قفازين على قائمتيه الخلفيتين فلا يرى منهما شيئاً.

سمّته باسم بِيّهْ، وبهذا الاسم كان يدعى. لكنّها كانت تناديه باسم الدلع أي جُريْذ، عندما لا يكون بقربهما مخلوق.

- افعل يا جُريْذ هذا، اصنع يا جُريْذ ذلك!

ولم يكن جُريْذ ليعصي لها أمراً البتّة فكان يفعل ما تريده ويقوم بما تأمره به.

- سيرضى الله عنك يا جُريْذ وسيعينك!

في يوم قال لها جُريْذ:

- ماما، أريد أن أصبح جندياً.

كانت أمّه تحبّه حباً جماً لذلك فقد أجابته:

- وأنا؟ كيف لي أن أبقى وحيدة؟ الآن وقد هرمت وأصبحت عجوزاً لا أستطيع العمل.

- سأترك لكِ ذنَبي. عندما تحتاجين لشيء قولي:

ذَنَبْ يا ذَنَبْ

نفّذ الطَّلَب!

وسيسارع الذنَبُ إلى مساعدتك، كما لو أنّه أنا بالذات. أمّا إذا لم يطع أمرك فهذا يعني أنّي في خطر، عليك ساعتها أن تتركي كلّ شيء، وتتبعيه فيقودك إلى مكاني.

فعل هذا وانطلق. كان ذلك ذنَباً مسحوراً.

شنّ ملكٌ آخر الحربَ على الملك لأنّه شعر بالإهانة من رفض الأميرة. فخرج الملك إلى الحرب مع كلّ جيشه، لكنّه كان يلقى الأهوال في كلّ معركة يخوضها.

غيّر ضبّاطه وبدّل قادته، استدعى جنوداً جدداً للحرب، بل قاتل مصارعاً بيديه، وأبدى بطولات خارقة، لكنّه كان في كلّ مرّة من المهزومين، فيضطرّ لأن يفرّ مسرعاً على صهوة جواده.

وهنا برز جُريْذ، وكان يخوض الحرب معه.

- صاحب الجلالة، إذا أعطيتني قيادة الجيش، سأخرجك من الحرب منتصراً.

- وأنت من تكون؟

- اسمي لا شيء بلا شيء. لكن لا تنظر إلى الاسم. بل جربني.

- لا شيء بلا شيء إنّك أنت الآن القائد!

ظنّ قادة الجيش أنّ الملك قد جنّ جنونه:

- وهل تعطون القيادة العامّة لذلك النكرة وهو بالفعل لا شيء بلا شيء؟

لم يفيقوا من دهشتهم. لكن ما إن حانت ساعة المعركة حتّى أعطى جريْذ الأوامر وأطلق أبواق الحرب فانهزم جيش العدوّ شرّ هزيمة في طرفة عين.

- عاش لا شيء بلا شيء! يعيش لا شيء بلا شيء!

كانت لا نُسمع إلّا هذه الهتافات. ولم يهتف أحد: ((عاش الملك!)). حتّى إنّ صاحب الجلالة بدأ يستاء من الأمر ففكّر أن يخلع لا شيء بلا شيء عن القيادة إذ لم يبق إلّا القليل حتى يصبح أعلى قدراً منه.

لكن ماذا يصنع كي يزيحه عن الدرب؟ لا بدّ من حجة.

وقد وجد هذه الحجّة في صباح عندما جاءت الأميرة لتقول له:

- صاحب الجلالة، هل تريدني أن أتزوّج؟ زوّجني إذن لا شيء بلا شيء.

كان الملك قد استشاط غضباً. لكنّه أراد أن تتمّ الأمور بهدوء وصمت، لذلك فقد أصدر أمراً بالتخلّص من لا شيء بلا شيء عن طريق تسميمه.

دعاه إلى الغداء، في النهاية عمل على أن يوضع أمامه طبق من ذهب فيه قالب قشدة مسممة.

- هذا طبق لك وحدك، تكريماً لك. فكله يا لا شيء بلا شيء.

لكنّ لا شيء بلا شيء نهض من وراء المائدة وانحنى أمام الملك وأجاب:

- لا يريد الجُرَيْذ قشدةً ولا فطيرة

- بل يريد أن يتزوّج بالأميرة

قال هذا ثمّ ذهب.

استغرب الملك والوزراء وأصيبوا بدهشة عارمة:

- إذن هذا هو جُريْذ - قال أحد الوزراء - فلنعتقله، ولنسجننه في زنزانة نجمع فيها كل هررة البلاط فيلتهمونه حياً.

وهكذا اعتقلوه وعرّوه من ملابسه وسجنوه مع مئات الهررة الجائعة وجلسوا ينتظرون. عندما فتحوا الزنزانة لم يجدوا جريذاً بل وجدوا الهررة تلعق شواربها كما لو أنها تناولت طعاماً شهياً.

فرح الملك فرحاً شديداً وأمر بإقامة حفلات الرقص.

عندما ذهب ليرتدي المعطف الملكيّ وجد أنّ الفئران قد قرضته وأتت عليه كلّه. وكذلك حدث مع قادة الجيش وسيّدات البلاط والمدعوين عندما حاولوا أن يرتدوا زيّهم العسكريّ أو ملابس الحفل، فقد وجدوا أنّ الفئران قد قرضتها وأتت عليها كلّها.

ولم يكن هذا شيئاً. فقد جاء الوزراء بالمراسيم التي يجب أن يوقّعها الملك، وفي اليوم التالي وجدوا أن الأوراق قد قُرضت في مكان التوقيع على وجه التحديد. وقرضت الفئران شيئاً فشيئاً كل ما في البلاط من الفُرش والأغطية والشراشف وكل البياضات والأدوات والأثاث،

ولم تبقِ على شيء سليم منها. بدا أنّ جيشاً كاملاً من الفئران قد تسلّل وأعمل أنيابه المهلكة في هذا كلّه. ولم ينفع تجديد الأشياء، لأنّ ما يشترونه اليوم يكون في الغد قد قُرض وانتهى أمره.

هذا بينما كانت مئات الهررة تتجوّل في أنحاء البلاط وتجوب في غرفه وهي تموء أو تستلقي مخرخرة تحت أشعة الشمس. ولم يسلم من الأمر إلّا ملابس الأميرة وأثاثها.

ولم يعرف الملك ولا الوزراء ولا أفراد الحاشية أين يديرون رؤوسهم.

- هذا من عمل جريْذ!

- صاحب الجلالة، قال الوزير الذي اقترح أن تلتهم القططُ جُريْذاً، علينا أن نبني مصيدة كبيرة على شكل غرفة الأميرة ونبحث بعدها عن ساحر قادر على صنع دمية ضخمة بحجم الأميرة وشكلها، وفيها آلة تنادي "((جُريْذ، يا جُريذا!)) بصوت الأميرة نفسه. أنا على ثقة بأنّ جريذاً سينخدع بالمكيدة، وعندما يصبح بين أيدينا سنفكّر بما نصنعه به.

بدت الفكرة فكرة رائعة. وبدأ العمل بسرّية تامّة فأنشأ بنّاؤو القصر مصيدة تحاكي غرفة الأميرة، وصنع ساحر شهير دمية كبيرة بالحجم الطبيعيّ تشبه الأميرة بلحمها وعظمها وتنادي: ((جريذ، يا جُريذا!)) بصوت الأميرة نفسه. وضعوا المصيدة

في حديقة البلاط وانتظروا حتّى اليوم التالي.

كانت آلة الدمية تنادي طيلة الليل ((جُريذ، يا جُريذا)). لكن من يدري أين كانت تلمع عينا جُريذ في تلك اللحظة؟

لستّ ليالٍ لم تنفع الخدعة. في الليلة السابعة، أغرى التشابه جريذاً فجرى المسكين نحو المصيدة ووقع فيها.

تصوروا سرور الملك والوزراء عندما وجدوه في الصباح منزوياً في زاوية المصيدة قرب الدمية!

- اقرض يا جُريذا تزوّج الأميرة يا جُريذا!

كانوا يسخرون منه بلا أيّة شفقة، بينما بقي جُريذ في زاويته يتأمّلهم من غير أن يجيب بشيء.

في ذلك اليوم بالذات احتاجت أمّه إلى خدمة منه، فنادت:

- ذَنَبْ يا ذَنَبْ
نفّذ الطَّلَب!

لكنّ الذنب لم يتحرّك.

- آه أيّها الذنب! قالت الأمّ يائسة، لا بُدّ أنّ جُريذاً في خطر، هيّا بنا لننقذه، أسرع!

انطلقا، الذنبُ في المقدّمة وهي تلحق به من خلفه، حتّى وصلا إلى عاصمة المملكة ودخلا إلى حديقة البلاط. اختلطا بالحشود التي زحفت مفعمة بالفضول لمشاهدة جريذ داخل المصيدة.

كان من المفترض أن يُحرق جريد في ذلك اليوم، ولذلك فقد دهنت المصيدة بالزيت والشحوم، وكان الجميع بانتظار قدوم الملك والحاشية قبل أن يشعلوا النار.

قفز الذنب وذهب ليلتصق بمؤخّرة جريد.

- هذا ذَنَبُ جريد، أرنا ذنَبك يا جريد!

سرعان ما انتشى جريد وبدأ يتلفّت مسروراً وهو يهزّ بذنبه، وكأنّه لا يعرف شيئاً عن الحكم الذي سينفّذ به. لقد وقع جريد في المصيبة، لكن أحداً لم يتذكّر محاسنه وأفضاله التي قدمها عندما كانوا يدعونه لا شيء بلا شيء: هكذا هي الدنيا!

على وقع نفخ الأبواق، ظهر كلّ من الملك والوزراء والحاشية في ملابس الاحتفالات الكبرى، وكان يتقدمهم الجلاد وبيده شعلة مضاءة. أمّا الأميرة فبقيت في القصر.

عندها قال الملك بسخرية:

- ماذا تطلب يا جريد قبل أن تموت؟

أجاب جريد بكلّ هدوء وطمأنينة:

- صاحب الجلالة:

لا يريد الجُريْد قشدةً ولا فطيرة
بل يريد أن يتزوّج بالأميرة
وإذا لم يعطها الملك له بمِنّةَ
فجُريْد سيقتله شرّ قتلة.

قال ما قال وهو يلمس ذنبه.

- أشعلوا النارا أمر الملك وقد استشاط غضباً.

لكن ما إن قرّب الجلّاد شعلة النار من المصيدة، حتى انفجر عرش الملك بالنيران، وأتت النار على الملك والوزراء الذين لم يتمكّنوا من الفرار.

هرب الناس من شدّة الخوف، لكنّ جريداً انقلب فتى بهياً رائع الجمال وخرج سليماً معافى.

على وقع الصراخ والعويل هرعت الأميرة، وعندما رأت هذا المشهد أجهشت بالبكاء.

- جريد، إذا كنت تحبّني، فعليك أن تبعث أبي!

عندما تردّد جريد، تقدّمت أمّه:

- جريد، إنّي أرجوك أنا أيضاً، ابعث الملك!

فهل بوسعه أن يقول لا لأمّه ولأميرته الغالية؟

وهكذا فقد لمس بيديه جثّة الملك التي كادت تتفحّم وأحياه من جديد. لكنّ الملك تغيّر، وطلب العفو بتواضع عن كلّ إساءة أساءها، وقال:

- هذه إرادة الله إذن، فتزوّجا وعيشا سعيدين!

احتفل الشعب احتفالات سنيّة بهيّة، ولم يعبأ أحد بالوزراء المحروقين.

(5) - زوج.

الحكواتي

كان يا ما كان،

كان هنالك شخص مسكين كالشقيّ المسكين، اشتغل بكلّ المهن لكنّه لم يفلح في واحدة منها.

جاءته في يوم فكرة بأن يتجوّل في الطرقات ليقصّ القصص على الأطفال. بدا له أنّ هذه مهنة سهلة، كما أنّها تسلّيه هو أيضاً. لذلك فقد انطلق، وما إن وصل إلى أوّل مدينة حتّى جاب في طرقاتها وهو يصيح بأعلى صوته:

- قصص وحكايات، تعالوا يا أطفال! تعالوا اسمعوا الحكايات!

اندفع الأطفال من كلّ الأطراف، وتنازعوا ليحصل كلّ منهم على أفضل مكان حوله. فبدأ يحكي:

- كان يا ما كان، كان ملك وملكة، لم يكن لهما أطفال فكانا ينذران النذور ويحجّان إلى المزارات...

- هه! نعرف هذه الحكاية عن ظهر قلب – قال الأطفال – إنّها حكاية الحسناء النائمة! قصّ علينا غيرها!

- سأحكي لكم حكاية أخرى.

وبدأ:

- كان يا ما كان، كانت طفلة، وكانت أمّ

الطفلة مجنونة وجدّتها مجنونة أكثر منها. صنعت لها جدّتها طاقية حمراء...

- هه! نعرف هذه الحكاية عن ظهر قلب – قال الأطفال – إنّها حكاية الطاقية الحمراء! قصّ علينا غيرها!

استاء ذلك الشقيّ المسكين بعض الشيء، لكنّه بدأ من جديد:

- كان يا ما كان، كان هناك سيّد وكانت له بنت. كانت زوجه قد ماتت وتزوّج بامرأة غيرها. كانت الزوج الجديدة أرملة ولها ابنتان...

- هه! إنّها قصّة سندريلّا. نعرف هذه الحكاية أيضاً عن ظهر قلب.

وبما أنّه لم يكن يعرف سوى القصص القديمة، فقد تفرّق عنه الأولاد وتركوه وحيداً كالحمار.

لذلك فقد سافر وانطلق إلى مدينة أخرى، وما إن وصل إليها حتّى جاب في طرقاتها وهو يصيح بأعلى صوته:

- قصص وحكايات، تعالوا يا أطفال! تعالوا اسمعوا الحكايات!

اندفع الأطفال من كلّ الأطراف وتنازعوا ليحصل كلّ منهم على أفضل مكان حوله. لكنّه ما إن يبدأ في قصّ حكاية حتّى كان الجميع يصرخون بصوت واحد:

- نعرفها! نعرفها!

وبما أنه لم يكن يعرف سوى القصص القديمة، فقد تفرّق عنه الأولاد وتركوه وحيداً كالحمار.

بعدما جرّب حظّه عدّة مرّات ولم يأتِ إلّا بتلك النتيجة، فقد ذلك الشقيّ المسكين كلّ أمل ولم يعرف إلى أين يدير رأسه.

حزن أشدّ الحزن فبدأ يسير على غير هدى حتّى وجد نفسه في وسط الغابة.

حلّ الليل بظلامه فاستلقى على العشب تحت شجرة وحاول أن ينام. لكنه من شدّة الخوف لم يتمكّن من إغلاق جفن. تصور أنّ النباتات كانت تتهامس فيما بينها بصرير أوراقها، وتصوّر أنّ صراخ الوحوش وتغريد طيور الليل ما هي إلّا رسائل يتبادلونها فيما بينهم وعيداً له وتهديداً.

كان قلبه ينبض بقوّة في صدره، فلم يرجُ إلّا أن يشرق الصباح.

في منتصف الليل على التمام، رأى. ماذا رأى يا ترى؟ رأى نوراً يبهر الأبصار يشعّ في أنحاء الغابة، فكان يخرج من كلّ نبتة ناس يضحكون ويرقصون، وكانت تنصب لهم بخفّة وسرعة وفي كلّ الأنحاء خيام رائعة الجمال وتوضع موائد عليها أشياء لم يشاهدها من قبل كانت تبرق أكثر من الذهب. أدرك أنه أصبح وسط معرضِ سوق الساحرات. لذلك فقد تشجع ونهض، وأخذ يفكّر:

- لا بدّ أنّ الساحرات يبعن حكايات حلوة

وجديدة. سأذهب لأشتري منهنّ.

اقترب من ساحرة تبيع أغراضها تحت خيمة ثمينة منصوبة، وقال لها:

- هل عندك قصص جديدة؟

- لم يعد هناك قصص جديدة، لقد ضاعت بذورها.

وبما أنّه لم يقتنع بالجواب، فقد ذهب إلى ساحرة أخرى تعرض على مائدتها أشياء رائعة داخل المرطبانات.

- هل عندك قصص جديدة؟

- لم يعد هناك قصص جديدة، لقد ضاعت بذورها.

هاتان اثنتان!

دار وجال لفترة أخرى وهو يراقب هنا وهناك، وما إن رأى خيمة ظنّ أنها أثمن من غيرها حتّى اقترب من الساحرة البائعة وسألها بخجل:

- هل عندك قصص جديدة؟

- لم يعد هناك قصص جديدة، لقد ضاعت بذورها.

وثلاث!

عندما رأت أنّه استاء، قالت له الساحرة:

- هل تعرف يا ذاك الرجل ماذا عليك أن تفعل؟ عليك أن تذهب إلى الساحر ذي الثلاث

باءات لأنّ مخازنه مليئة بما تريد.

- وأين أجد ذا الثلاث باءات هذا؟

- بعيداً جدّاً، بين غاباته المزروعة بالبرتقال.

أغلق السوق قبيل الفجر، فاختفت الساحرات والخيام وكلّ شيء. ووجد ذلك الشقيّ المسكين نفسه وحيداً وسط الغابة، ولم يعرف فيما إذا كان في يقظة أم أنّه كان يحلم.

سار ثمّ سار وسار حتّى التقى بمسافر:

- هل تعرف يا صديقي أين يمكن لي أن أجد غابات برتقال الساحر ذي الثلاث باءات؟

- سر إلى الأمام، دائماً إلى الأمام.

سار ثمّ سار وسار حتّى التقى بامرأة عجوز:

- هل تعرفين يا صديقتي أين يمكن لي أن أجد غابات برتقال الساحر ذي الثلاث باءات؟

- سر إلى الأمام، دائماً إلى الأمام.

ومتى يمكن بلوغ مكانه؟

ها هي أخيراً غابات البرتقال. لكنّها كانت محاطة بالأسوار، ولا يمكن الدخول إليها إلّا عبر باب صغير يحرسه كلب غليظ ضخم.

- عمّن تبحث في هذه الأنحاء؟ سأله الكلب الغليظ.

- أبحث عن الساحر ذي الثلاث باءات.

- إنّه في الخارج. انتظر.

وصل الساحر ذو الثلاث باءات متأخراً، كان أسود الخلقة كالفلفل وله لحية سوداء وعينان سوداوان تبخّان ناراً.

- هاه أيّها الساحر الطيّب ذو الثلاث باءات، إنّي أطلب منك معروفاً!

- تكلّم، ماذا تريد؟

- أريد حكايات وقصصاً جديدة، لديك منها الكثير في مخازنك، أريد أن أحصل على بعضها.

- لم يعد هناك قصص جديدة، لقد ضاعت بذورها. القصص التي عندي لا تفيدك ولا تنفعك، فضلاً عن أنّي بحاجة إليها كي أحتفظ بها محنّطة. هل تريد مشاهدتها؟

ثمّ قاده نحو مخازنه.

كان فيها كلّ قصص العالم وحكاياته، مرتّبة في أدراج صنعت خصيصاً لهذا الغرض، مصنّفة ومرقّمة. وكان الساحر ذو الثلاث باءات يحدّق دائماً في يديه خشية أن يسرق منها واحدة.

- لكن ألا يمكن أن أجد بينها بعض القصص الجديدة؟

- الجديدة؟ - أجاب الساحر - تعرفها على الأرجح ساحرةٌ عجوز طاعنة في السنّ، هي الساحرة خيال. لكنّها لا تريد أن ترويها أمام أحد. إنّها تعيش وحيدة في المغارة، ولا يمكن زيارتها إلّا برفقة الحسناء النائمة في الغابة والطاقية الحمراء

وسندريلّا والمشعرانيّة وعقلة الأصيبع وأمثالهم من الناس. جرب، لكنّي أحذرك بأنّ تعبك سيذهب هباءً.

- لا يهمّ، سأجرّب.

استدار وعاد إلى الحسناء النائمة في الغابة:

- أيّتها الحسناء النائمة في الغابة، أرجوك تعالي معي.

- بكلّ سرور.

- أيّتها الطاقيّة الحمراء، أرجوك تعالي معي.

- بكلّ سرور.

- يا سندريلّا الطيّبة، أرجوك تعالي معي.

- بكلّ سرور.

الخلاصة أنّه جمَعَهم كلّهم فانطلقوا. كان أولئك على علم بمكان المغارة التي تعيش فيها الساحرة العجوز، فقادوه إليها بسهولة. طرقوا الباب.

- من أنتم؟

- إنّنا نحن.

عرفتهم الساحرة العجوز من أصواتهم، وجاءت لتفتح الباب.

- ماذا تريدون؟ ومن هو هذا؟ كيف تجرؤ على القدوم إليّ أيّها المتهوّر!

بل همّت بأن تطرده.

لكنّ الآخرين طيّبوا خاطرها وعرّفوها بسبب قدومه:

- لقد جرّب هذا البائس الفقير كلّ المهن والأعمال ولم يفلح في واحد منها، بل إنه جرب أن يشتغل حكواتياً يقصّ القصص والحكايا، لكنّ الأطفال رفضوا أن يستمعوا له لأنهم يعرفون عن ظهر قلب كلّ حكاياتنا، وهم يريدون حكايا جديدة وقصصاً مبتكرة.

- لم يعد هناك قصص جديدة، لقد ضاعت بذورها.

- خيال، أيّتها الساحرة الجميلة، ساعديني!

رقّ قلب الساحرة خيال بعدما وجدت أنه يرجوها بدموع تذرفها عيناه:

- سأذهب وأعود.

دخلت إلى المغارة وخرجت منها بعد فترة وقد ملأت مئزرها:

- خذ، لربّما نجحت بهذه الأشياء.

قدّمت له قطعة حلوى، برتقالة ذهبيّة، ضفدعاً صغيراً، حيّة صغيرة، بيضة سوداء، ثلاثة خواتم، أي مجموعة كبيرة من غرائب الأشياء.

- ماذا أصنع بها؟

- خذها معك وسترى!

شكرها وعاد مسروراً سعيداً بصحبة الآخرين

ليرافقهم إلى بيوتهم. وعندما وصل إلى أوّل مدينة بلغها بدأ يصرخ بصوت مرتفع وهو يجوب في الطرقات:

- قصص وحكايات، تعالوا يا أطفال! تعالوا اسمعوا الحكايات!

اندفع الأطفال من كلّ الأطراف وتنازعوا ليحصل كلّ منهم على أفضل مكان حوله.

تناول قطعة الحلوى وبدأ يحكي:

- كان يا ما كان ...

لم يكن يعرف كلمة واحدة ممّا كان يجب أن يقول، لكنّه ما إن فتح فاهُ حتّى تدفّقت كلمات الحكاية متتالية كما لو أنّه كان يعرفها عن ظهر قلب ومنذ زمن طويل. وهكذا قصّ حكاية اطلبي الشمس.

أعجب الأطفال بالحكاية:

- نريد حكاية أخرى، حكاية أخرى!

تناول من جعبته إحدى هدايا الساحرة، وقال:

- كان يا ما كان...

لم يكن يعرف كلمة واحدة ممّا كان يجب أن يقول، لكنّه ما إن فتح فاهُ حتّى تدفّقت كلمات الحكاية متتالية كما لو أنّه كان يعرفها عن ظهر قلب ومنذ زمن طويل.

وهكذا قصّ حكاية ضفيدع، مدّ الأصيبع.

أعجب الأطفال بالحكاية:

- نريد حكاية أخرى، حكاية أخرى!

وهكذا باستمرار حتّى روى دزّينة من القصص، وكان يتسلّى أكثر من الأطفال بالذات.

ثمّ انطلق إلى مدينة أخرى:

- قصص وحكايات، تعالوا يا أطفال! تعالوا اسمعوا الحكايات!

بدأ يحكي من جديد، وسرّ جميع الأطفال أشدّ السرور.

على أنّ القصص كانت هي نفسها على الدوام: اطلبي الشمس، ضفيدع، مد الأصيبع، حصونة، حصان من برونز، سربنتينا، رأس الضفدع... وذلك حتّى بدأ الأطفال يسأمون الأمر فكانوا يقولون عندما يبدأ كلامه قائلاً:

- كان يا ما كان...

كانوا يقاطعونه قائلين:

- نعرفها، نعرفها عن ظهر قلب!

فاذا يصنع الآن بتلك القصص وقد بدأ الأطفال يرفضون سماعها لأنّهم يعرفونها عن ظهر قلب؟

فكّر بتقديمها هديّة للساحر ذي الثلاث باءات ليضعها في ملفّات دروجه مع الحكايا المحنّطة الأخرى.

لذلك فقد انطلق لزيارته.

وجد على بابه الكلب الغليظ المعهود:

- عمّن تبحث في هذه الأنحاء؟ سأله الكلب الغليظ.

- أبحث عن الساحر ذي الثلاث باءات.

- إنّه في الخارج، انتظر.

وصل الساحر ذو الثلاث باءات متأخّراً، كان أسود الخلقة كالفلفل وله لحية سوداء وعينان سوداوان تبخّان ناراً.

- هل عدت من جديد؟ ماذا تريد منّي؟

- لا شيء أيّها الساحر الطيّب، لا بل إنّي جئت لأقدّم لك هديّة. هذه قصص جديدة لا توجد في دروجك. لقد عرفها الأطفال الآن لذلك فقد فكّرت بتقديمها هدية لك لتضعها مع القصص المحنّطة الأخرى.

- آه أيّها الأحمق، أيّها الأحمق. - أجاب الساحر - ألا ترى ما الذي تحمله في يدك؟

نظر الحكواتي فلم يرَ بين يديه سوى قبضة من ذباب!

عاد من ثَمَّ مهاناً ذليلاً، ولم يعد يرغب بسماع شيء عن القصص والحكايا.

استنتج بعدها أنّه لا توجد بعد الآن حكايا جديدة، لأنّ بذورها قد ضاعت واختفت!

أمّا كيف حدث هذا ولماذا حدث هذا، فهذا

ما ستعرفونه يا أعزائي الأطفال عندما تكبرون.

الأميرة

• إلى كارلوتشو أوتينو

كان هذا هو الاتّفاق:

قلت إنّ عليَّ أن أكتب حكاية جميلة، على أن تطبعها أنت وتنشرها في إصدار رائع بهي. يا لناشري المسكين! لقد عانيتَ الكثير طيلة عام كامل، كما يعاني جميع الناشرين الكبار، كيما تحصل على المخطوطة. لقد اجتهدتُ وعملت بجد لكي أقدم لك هديّتي: حكاية جديدة بالفعل. لكني لم أنجح في هذا. لقد احتجت إلى عام كامل لكي أقتنع بأنّه لا يمكن أن نعيد صياغة الحكايا كما لا يمكن إعادة صياغة القصائد والملاحم. لذلك فقد حاولت ما وسعني ذلك أن ألتجئ إلى الذاكرة. فعندما كنت طفلاً، وخلال أيام الشتاء القاسية، كانت أمّي تستدعي إلى بيتنا زوج النعّال التي كانت مشهورة برواية القصص والحكايا. من هنا فقد عدت إلى أيام الشتاء تلك، عندما كنّا نلتفّ جميعاً أنا وإخوتي وأخواتي حول المجمرة النحاسيّة الحمراء الضخمة التي كان المرحوم أبي يحضنها بين ساقيه، بينما كانت عمّتي آنجولا تغزل بقدميها وهي تروي من غير كلل قصصها الرائعة. كنّا نجلس لساعات طويلة بهدوء وسكون فاغري الأفواه يغمرنا سحر تلك الأجواء. وهذه واحدة من تلك القصص أكرّرها وأرويها الآن،

لكن وللأسف ليس بالجودة نفسها التي كانت ترويها عمّتي آنجولا! على أية حال هذا وفاءٌ لما وعدت به، والتأخر بالوفاء يا صاحبي خير من عدم الوفاء. وعليك الآن أن تفي أنت بوعدك، أنت الناشر الصغير بعمر تسع سنين.

تحيّاتي الحارّة إلى أمّك الطيبة وإلى أبيك. مع قبلاتي. من صديقك لويجي كابوانا.

ميلانو، 16 كانون أول 1881

كان يا ما كان،

كان هناك ملك وملكة لهما ابنة أجمل من الشمس وأجمل من القمر.

في يوم قال الملك بعد الغداء للملكة:

- صاحبة الجلالة، فتّشي لي بين الشعر في رأسي، ففيه شيء يقرصني.

عاينت شعر الملك وفتّشت بإصبعها بين الشعر فوجدت قملة مدهشة. همّت بسحقها.

- لا، فلنحاول أن نربّيها.

ثمّ وضعا القملة في علبة صغيرة جداً.

كانا يطعمانها كلّ يوم فكانت تكبر وتتضخّم. وسرعان ما اضطرا لرفعها من تلك العلبة لأنها أصبحت أكبر حجماً منها. وقد ثار فضول الملك فأراد أن يعرف إلى أين يمكن أن يبلغ بها الأمر، لذلك فقد عاملها أحسن معاملة. كان يأتي كلّ

يوم برفقة الملكة ليراقباها في غرفة داخل البلاط حيث خبآها. كانت القملة تكبر وتكبر. بعد فترة اضطرا لرفعها من العلبة الثانية لأنها أصبحت أكبر منها حجماً، بل صارت بحجم قبضة اليد حتى لكان من الصعب التصديق بأنها مجرد قملة. الخلاصة أنها نمت وكبرت كأنها دجاجة وصارت عاجزة عن الحركة لشدة سمنها.

عندها قتلها الملك، ذبحها وسلخ جلدها، ثم أصدر إعلاناً:

- من يحزر لأيّ حيوان يعود هذا الجلد، أزوّجه ابنتي الأميرة. ومن لا يحزر سيقطع رأسه.

حزنت الأميرة وأصابها الأسى.

فأيّ زوج سيكون من نصيبها؟

واصلت البكاء والنحيب. لكنّ هذا ما يريده الملك وهذا ما يجب أن يكون!

سارع أشخاص كثيرون جاؤوا من جميع أنحاء المملكة. فنهم من قال إنه جلد هذا الحيوان، ومن قال إنه جلد ذلك الحيوان، فقطعت رؤوسهم جميعاً بلا أية شفقة أو رحمة.

جرّب آخرون حظّهم. لأنّ فكرة التزوّج بالأميرة كانت تغريهم أشدّ الإغراء. وكانوا يحسبون أنه لن يكون عسيراً عليهم أن يحزروا لأيّ حيوان يعود ذلك الجلد. لكنّهم ما إن يجربوا حتى يسقطوا. وهكذا فإن الملك كان يأمر بقطع

رؤوسهم بلا شفقة ولا رحمة.

وأخيراً ها هو شابّ جميل يتقدّم.

- للأسف سيقطع رأسه هو أيضاً!

شعر الجميع بالشفقة عليه لأنّه كان فتىً شابّاً صغيراً وجميلاً. بل إنّ الملك بالذات طلب منه أن يفكّر مرّتين قبل أن يعرّض نفسه للخطر. لكنّ الفتى كان عنيداً وقرّر الدخول إلى الصالة التي عرضوا الجلد فيها.

- إنّه جلد قملة!

- أحسنت! قال له الملك. أنت الذي ستتزوّج بالأميرة.

عانقه وأبقاه على الغداء وأمر بإقامة الاحتفالات في أنحاء المملكة.

سرّت الأميرة أيضاً، فالعريس شابّ جميل وعليه ملامح العزّ.

- من أنت؟ سأله الملك على المائدة.

- أنا جسد مُعمَّد وتجري في عروقي دماء ملكيّة نبيلة.

- وأين هي بلادك؟

- بلادي؟ بعيدة جدّاً. لبلوغها يلزم عام كامل وشهر ويوم، ومن يصل إليها لا يرجع منها أبداً.

خشيت الأميرة وفزعت.

وبكى الملك والملكة وهما يفكّران أنّه على ابنتهما

أن تعيش في ذلك البلد البعيد جداً، الذي يلزم لبلوغه عام كامل وشهر ويوم، ومن يصل إليه لا يرجع منه أبداً. لكنّ كلمة الملك لا تراجع عنها.

أقاموا العرس. ثمّ انطلقت الأميرة مع الشابّ الجميل في رحلتهما وتبعتهما حاشية كبيرة. حملت مئات من العربات تجرها مئات من الأحصنة مهرها، وهو على شكل جواهر ودراهم فضلاً عن الأثاث والهدايا البهية التي قدمها كل من الملك والملكة.

ساروا وساروا وساروا، ولم يصلوا أبداً!

- أين هي بلادك؟

- خلف تلك الجبال.

عبروا الجبال لكنّهم لم يصلوا!

- أين هي بلادك؟

- بعد تلك الغابة.

عبروا الغابة لكنّهم لم يصلوا!

- أين هي بلادك؟

- في آخر ذلك السهل.

عبروا السهل لكنّهم لم يصلوا!

لم يهدأ للأميرة بال، خاصّة وأنّها ما فتئت تفكّر بأبيها وأمّها اللذين لن تراهما بعد الآن.

كما كانت تثير فزعها وخوفها تلك البلاد البعيدة جداً التي لا وصول إليها.

- هل تريدين أن تصلي بسرعة؟ قال لها عريسها.

- أجل.

- سأحملك على عنقي إذن وسترين النتيجة.

ما إن وافقت الأميرة وتعلّقت بذراعيها على عنقه حتى تحوّل الشاب الجميل إلى غول طويل، ضخم الجسم كثيف الشعر له عينان كالجمر وأنياب ومخالب مخيفة!...

- آه، أيّتها العذراء المقدّسة، آه، يا أمّي!

أغلقت الأميرة عينيها وشعرت كأنّ ريحاً عاتية تسوقها.

أصمّ الغولُ آذانَ الوديان والجبال بسبب ضجيجه وهو يجري:

- أو إي! أو إي!

بدا كالزلزال حيثما حلّ أو مشى، بدا كالعاصفة.

عندما فتحت الأميرة عينيها أدركت أنّها وصلت إلى قلعة زوجها الغول.

أحسّت أن صدرها ينطبق على قلبها.

كانت القلعة محاطة بأسوار عالية تكاد السماء لا تبين فوقها.

كانت الغرف باردة مظلمة، أبوابها مربوطة كلّها بالسلاسل وعليها حرس يخيفون حتى أشجع الشجعان.

ما العمل؟ لا بُدَّ من الاستسلام!

غير أنّ الغول كان يحيطها بكلّ رعاية واحترام. كان يذهب في الصباح إلى الصيد ويعود في المساء محمّلاً بالطرائد. وكانت الأميرة تشعر بنفسه من علي بعد أميال كثيرة. أمّا طرائده فلم تكن إلّا بشراً مساكين، بعضهم مقتول ميت والآخرون أحياء، كان الغول يلتهمهم نصف مطبوخين واحداً على الفطور وواحداً على الغداء وواحداً على العشاء. لكنّه كان يأتي للأميرة بأطباق لذيذة وبالمعجّنات وحلوى من كلّ الأنواع.

- كلي! هل تشعرين بالخوف؟

- لا.

- كلي إذن!

- ليس لديَّ شهيّة.

- كلي!...

وكان عليها أن تأكل، لكيلا يستاء الغول ويصرّ بأسنانه.

- اشربي! هل تشعرين بالخوف؟

- لا.

- اشربي إذن!

- ليس بي عطش.

- اشربي!...

وكان عليها أن تشرب، لكيلا يستاء الغول ويصرّ

بأسنانه.

لكن لنرجع إلى الملك والملكة.

في يوم وبعد أن سافرت الأميرة مع الفائز، جاء فتى آخر يريد أن يجرب حظه بامتحان الجلد.

- لقد تأخرت كثيراً! لقد أغلق الامتحان.

- ومن كان الرابح يا صاحب الجلالة المقدّسة؟

- شابّ يعيش في بلد بعيد جداً، يلزم لبلوغه عام كامل وشهر ويوم، ومن يصل إليه لا يرجع منه أبداً.

- يا ويلي، إنّه غول، الأميرة في يد غول!

تصوّروا آلام الملك والملكة وكلّ الحاشية عند سماع هذا الخبر السيّئ!

ذهب الفتى وهو يندب حظّه على وصوله متأخراً. ولقد أغرم بالأميرة حين أخبروه أنها أجمل من الشمس وأجمل من القمر، أمّا الآن وقد عرف أنها في يد ذلك الوحش فقد اشتدّت آلامه المميتة.

سار على غير هدى لا يعرف إلى أين: وبدت عيناه كالبحيرات من كثرة الدمع.

أنهكه التعب من طول سيره، فجلس على صخرة عندما وصل إلى السهل، وواصل تأسفه ونحيبه.

مرّت امرأة عجوز تحمل كومة حطب على كتفيها.

- ماذا بك أيّها الشابّ الجميل؟

- وماذا يمكن أن يكون بي يا عجوزي الطيّبة؟

ثمّ قصّ عليها قصّة الأميرة والغول.

لم تجب العجوز بشيء، بل واصلت سيرها وهي تحمل الحطب على كتفيها.

- لا بُدَّ أنّكِ منهكة، قال الفتى - أعطني هذه الكومة، وسنسير سويّة.

- شكراً يا بنيّ!

حمل الفتى الحزمة وانطلق بصحبة العجوز. لكنّ حزمة الحطب كانت ثقيلة.

- جدّتي، هل بيتك بعيد من هنا؟

كان ثقل الحزمة يزداد، وصعب على الفتى تحمّله، كان يتعرق ويلهث. بينما أفلت الشمس وغربت وبدأ الظلام ينتشر.

- جدّتي، هل بيتك بعيد من هنا؟

- شجرة ترقص وبلبل يتكلّم، عندما نلقاهما نكون قد وصلنا إلى بيتي.

حلّ الظلام، وتعسّرت الرؤيا. لكن ها هي في وسط الحقل شجرة تقفز وتثب وكأنّها ترقص مثل شخص حي.

- لقد أحسنتِ الحراسة، يكفيكِ الآن - قالت لها العجوز.

عندها توقّفت الشجرة عن القفز فتوقّف الفتى

حيران مدهوشاً.

- إلى الأمام يا بنيّ، ما زال أمامنا قطعة من الطريق.

بينما كان ثقل الحزمة يزداد.

ولم يستطع الفتى أن يتحمّل!

كان بصدد أن يلعن الساعة والمكان حيث أسدى هذه الحسنة لتلك العجوز، عندما سمع صوت أجنحة ترتطم.

كان ذاك هو البلبل الناطق.

- مرحباً بالأمّ أمّي! ومرحباً بمن مع أمّي!

بدأ الفتى يرتجف من الخوف والفزع.

- لقد وصلنا، قالت العجوز.

فدخلا إلى البيت.

نزع الحزمة عن كتفيه فرأى أنها أصبحت خفيفة من جديد، ووضعها قرب المدفأة.

عندها تناولت العجوز غصني حطب وأشعلت النار وبدأت بتحضير العشاء، ثمّ فرشت غطاء المائدة ووضعت عليها الأطباق.

عندما أصبح كلّ شيء جاهزاً:

- كوكوكو كوكو!

انقلب البلبل إلى فتاة جميلة.

جلسوا يأكلون.

لكنّ الفتى خشي أن يقترب من الطعام لأنّه خاف أن يكون طعاماً مسحوراً.

- إلى أين أنت ذاهب أيّها الفتى تائهاً عبر العالم. إذا رغبت بوسعك أن تبقى هنا فأعطيك كل ثروتي وستكون ابنتي الحلوة هذه عروساً لك.

- آه يا جدّتي، دعيني أنطلق! إنّي أبحث عن أميرة قلبي وأنا ذاهب للقياها مهما كان الثمن. وإذا لم أجدها فأريد أن أصبح راهباً.

- يا للمسكين! لكنّك لا تعرف الطريق إلى بلد الغول. إنّه بعيد جدّاً! لبلوغه يلزمك سنة وشهر ويوم، ومن يصل إليه لا يرجع منه!

- وماذا يهمّ؟ حياتي هي ملك الأميرة، وإذا متّ من أجلها فهذا أفضل! أعطني زاوية أقضي فيها ليلتي هذه، وأيقظيني غداً عند الفجر لأنطلق وأسير.

أخذته العجوز إلى غرفة رائعة الجمال تشبه صالات القصر الفسيح. لكنّ الفتى لم يتمكّن من النوم. بقي يفكّر بأميرته وبالغول. تقلّب على جنبيه تحت الشرشف وهو يتنهد.

- كوكوكو كوكو!

دخل إلى الغرفة البلبل وتحوّل في الحال إلى فتاة جميلة، الفتاة السابقة نفسها.

- لماذا لا تنام يا فتى؟ لماذا تتنهّد؟

- لا يمكن أن يغمض لي جفن وأنا أفكّر بأميرة

قلبي.

- خذني إذن. إنّي جميلة وغنيّة ومن دم ملكيّ. فأين تجد حظّاً أفضل من هذا الحظّ؟

- آه يا فتاتي، دعيني وشأني! هذا هو قدري ومصيري.

- كوكوكو كوكو!

وعادت الفتاة الجميلة بلبلاً.

- انزع ريشةً من الذنَب وانزع ريشتين من الجناحين. في لحظات الخطر الداهم أمسك واحدة منها في يدك وأمُر. ستكون مطاعاً.

تردّد الفتى:

- يمكن أن يكون فخّاً!

لكنّ البلبل عاد فقال:

- انزع ريشةً من الذنَب وانزع ريشتين من الجناحين. في لحظات الخطر الداهم أمسك واحدة منها في يدك وأمُر. ستكون مطاعاً.

- إذن!... قال الفتى.

اطمأنّ فنتف تلك الأرياش من الذنب والجناحين وخبّأها في جيوبه.

كانت الليلة طويلة ولم يتمكّن من الخلود إلى النوم. بقي يفكّر بأميرته وبالغول. تقلّب على جنبيه تحت الشرشف وهو يتنهّد.

دخلت العجوز إلى الغرفة.

- لماذا لا تنام يا فتى؟ لماذا تتنهّد؟

- لا يمكن أن يغمض لي جفن وأنا أفكّر بأميرة قلبي.

- تزوّج ابنتي. إنّها جميلة، شديدة الثراء ومن دم ملكي.

- آه يا جدّتي دعيني وشأني! هذا قدري ومصيري.

- إنّ لك قلباً مخلصاً! خذ هذه الجوزة. في لحظات الخطر الداهم يمكنك أن تسحقها بين أسنانك وأن تأمر. فتكون مطاعاً.

سافر الفتى عند الفجر.

سار وسار، ليل نهار حتّى وصل إلى وسط غابة ليس فيها علامة طريق. أشجار من هنا وأشجار من هناك، شجيرات وبقع خضراء وأشواك. سدت عليه السبل ولم يستطع التقدّم إلى الأمام أو الرجوع إلى الخلف.

- لا بدّ أنّ هذه هي بلاد الغول! صاح بغتة.

شعر بفرح كبير، فتناول ريشة ذنب ذلك البلبل الناطق وقال:

- ريشتي يا ريشتي، سيري بي بإمرتي.

انفتحت الغابة وامتدّت أمامه طريق عريضة مستقيمة ليس لها نهاية. كلّما تقدّم عليها انفتحت منها مقاطع أخرى. كان الفتى قد استهلك ما

تزوّد به من الخبز والماء ولم يجد في المكان مياهاً ولا فاكهة ولا غير ذلك! فبدأ يعاني من عضّات الجوع. بينما حلّ الليل،

ليل بلا نجوم، ظلام كظلام البلعوم،

وفي الغابة أصوات ذئاب تعوي جائمة...

- لقد انتهى أمري، فلا بدّ أن تلتهمني الذئاب!

لكن، فجأة، بعيداً، يلوح ضوءٌ باهت، يظهر أحياناً ويخسر أخرى.

تشجّع الفتى واستجمع قواه وتقدّم على الطريق. بقي الضوء بعيداً في الأفق يظهر أحياناً ويخسر أخرى. أخيراً شاء الله أن يصل المسكين إلى الباب الذي كان الضوء يلمع من وراء ثقب مفتاحه، فطرق ذلك الباب.

لم يجبه أحد.

عاد وطرق الباب.

- افتحوا لي أيّها المؤمنون! استضيفوني لهذه الليلة!

لكنّه لم يتلقّ جواباً.

- فهل هذه بلاد كفّار؟

طرق الباب مرّة أخرى لكن بأشدّ من السابق.

- من أنت؟

جاء ذلك الصوت الواهن الضعيف من أعلى البيت.

- إنّي تاجر تائه. آووني لهذه الليلة، حسنةً لوجه الله!

- اسكت، لا تتنفّس إذا كنت حريصاً على حياتك! انتظر حتى أدلّي جدائل شعري لتتسلّق عليها.

تمسّك الفتى بتلك الجدائل التي أسقطتها، فشعر أنّه يسحب إلى الأعلى كما يسحب الدلو. ساعدته ذراع على الدخول من النافذة، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام فتاة جميلة كانت تنظر إليه بدهشة.

- كيف بلغت هذا المكان؟ لا بُدَّ لبلوغه من السير سنة وشهراً ويوماً ومن يصل إليه لا يرجع منه!

آه، إنّه إذن في قلعة الغول! وتلك الفتاة هي محبوبته الأميرة!

بدأ يبكي من شدّة الفرح.

لكنّهما بكيا سويّةً عندما أخبرها عن نفسه ولماذا جاء وكيف وصل.

كان يهمّ بمواصلة حديثه عندما ضجّت القلعة بصيحات الغول الذي كان يتهيّأ للذهاب إلى الصيد. عملت الأميرة على إخفاء الفتى في الخزانة ثمّ تصنّعت أنها تعمل على مطرّزاتها.

ركل الغول الباب بقدمه وما إن دخل إلى الغرفة حتى بدأ يشمّ حول المكان وفي أرجائه.

- لماذا تشمّ؟

- هل هرب وانتشرا أشمّ رائحة بشرا

- اغرب! لقد انتهيت لتوك من الفطور وروائحه تملأ خياشيمك.

هدأ الغول وانطلق إلى الصيد:

- أي! أي!

- إلى الهرب – قال الفتى بعدما ذهب الغول.

- آه، إنّنا مساكين ولا يمكن لأحد أن يخرج من هنا. حتّى لو تمكّنّا من الخروج فإنّنا لن نستطيع أن نشقّ لنا طريقاً بين الغابات التي تحيط بالقلعة لمسافة مئة ميل.

عندها سحب الفتى ريشة أخرى من أرياش البلبل الناطق.

- ريشتي يا ريشتي، أطلقيني مع أميرتي!

شعرا فجأة أنّه أمسك بهما من الرقبة لينطلقا في الهواء، وفي أقلّ ممّا يقال أصبحا وراء تلك المئة ميل من الغابات المحيطة بالقلعة.

سارا على الأقدام طيلة النهار، وعندما شعرا بالتعب وشاهدا كوخاً مهجوراً دخلا فيه ليستريحا فناما نوماً هنيئاً لذيذاً.

وفي الصباح الباكر انطلقا واستأنفا السير.

لكنّهما سمعا بعد قليل ضجيجاً أصمّ يأتي من بعيد ويقترب منهما:

- أو إي! أو إي!

كان صوت الغول وهو يلحق بهما!

حثّا الخطى، بل إنّهما بدآ يجريان، لكنّ الغول كان قد كشفهما عن بعد وحاول الانقضاض عليهما بأسرع من الريح.

تناول الفتى آخر ريشة من أرياش البلبل الناطق وقال:

- ريشتي يا ريشتي، اجعليني ثعبانَ ماءٍ وأميرتي بركةً!

وهنا توقّف الغول وقد دهش لأنّهما غابا عنه.

ظهرت بركة على قارعة الطريق يقرقر فيها الماء ويتلألأ كالبلّور بينما ينزلق ثعبان الماء داخلها وهو يهز ذنبه.

اعترى الغول الشكّ بأنّهما تحوّلا، هي إلى بركة ماء وهو إلى ثعبان.

- سأشربك أيّتها البركة وسأمسك بها أيّها الثعبان!

شرب وشرب وكرع لكنّ البركة لم ينقص من مائها شيء، بينما بقي الثعبان ينزلق بين يديه ويهرب.

امتلأ بطن الغول بالماء وغصّ به حلقه، ولم يعد بوسعه تحريك يده من شدّة التعب.

أخذ قسطاً من الراحة ثمّ استأنف من جديد:

- سأكرعك يا بركة وسأمسك بك يا ثعبان!

ثمّ عاد ليجهد نفسه ويشرب.

كما حاول أن يمسك بذلك الثعبان اللعين الذي كان ينزلق دائماً بين يديه. في النهاية هوى على الأرض وقد أماته التعب وثقل الماء في بطنه فنام في الحال.

ما إن رأت الأميرة ورفيقها أنّ الغول قد نام حتّى استأنفا السير.

سارا طيلة الليل ونصف النهار التالي عندما سمعا من جديد:

- أو إي! أو إي!

كان هو الغول يلحق بهما وقد اشتدّ غضبه أكثر من ذي قبل!

- توقّفي! توقّفي!

بدا صوته كالرعد.

فقدت الأميرة المسكينة وعيها وأغمي عليها. كان الغول على بعد خطوات قليلة، وقد بدأ يسنّ أنيابه:

- أو إي! أو إي!

عندها صعق الفتى الجوزة.

- جوزتي يا جوزتي، اجعليني صخرةً وأميرتي فراشة!

وجد الغول نفسه أمام صخرة جرداء منحدرة الأطراف تنتصب قائمة فوق ما حولها.

كانت هناك أيضاً فراشة رائعة بهيّة تطير هنا وهناك بجناحين مذهّبين وتذهب من حين لآخر

لتحطّ على تلك الصخرة.

اعترى الغول الشكّ بأنّهما تحوّلا، هو إلى صخرة وهي إلى فراشة.

- سأحطّمك يا صخرة وأمسك بك يا فراشة!

شرع في زحزحة الصخرة عن مكانها وبدأ يحفر الأرض تحتها بأظافره، لكنّه لم يفلح في تحريك حجر واحد.

تسلّخت يديه وتكسّرت أظافره وهو يحفر ويحفر. ثمّ ترك الحفر والتفت ليمسك بالفراشة. لكنّها كانت تطير في الأعلى وتهرب منه.

مات من التعب واستلقى على الأرض قرب الصخرة، فاستغرق في النوم.

تحرّكت الصخرة فجأة وسقطت عليه بمجموعها.

- أو إي! أو إي! صرخ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وهكذا تمكّنت الأميرة ورفيقها من الانطلاق مرّة أخرى في السفر باطمئنان. ووصلا في النهاية إلى حدود بلادهما.

عندما عرف الملك والملكة بخبر وصولهما القريب، أمرا بإقامة الاحتفالات في أنحاء المملكة.

خرجا لاستقبالهما خارج أبواب المدينة برفقة كلّ الحاشية وأعداد غفيرة من أفراد الشعب،

وأمرا في الحال بالتحضير للزفاف الجديد وتزويج الأميرة بالفتى الذي حررها.

لكنّه قال:

- عليّ أن أذهب في رحلة. إذا لم أرجع بعد ثمانية أيام فهذا يعني أنّي متّ وأعلنوا الحداد عليّ.

شعرت الأميرة بيأس شديد:

- أجّل سفرك يا عريسي!

- ستذهب فيما بعد يا بنيّ!

لكنّ الأميرة والملك والملكة لم يفلحوا في إقناعه.

سافر فوجد نفسه في ذلك السهل الذي قابل فيه تلك المرأة العجوز.

انتظر بعض الوقت، فها هي العجوز، تحمل من جديد حزمة الحطب على كتفيها.

- هل تذكرينني يا عجوزي؟

- أجل يا بنيّ، إنّي أذكرك. ماذا أتيت لتصنع في هذه الأرجاء؟

- سأخبرك فيما بعد، أعطني الآن هذه الحزمة لأحملها ونسير سويّة.

كانت الحزمة هذه المرّة خفيفة جدّاً.

- جئت لأشكرك ولأدعوك إلى حفل زفافي.

- أحسنت يا بنيّ!

ما إن لفظت هذه الكلمات حتى تحوّلت العجوز

إلى امرأة رائعة الجمال، بهيّة أكثر من بهاء النجوم وتحمل في قبضتها عصا ذهبية.

ابتسمت وغابت عن الأنظار.

أدرك الفتى عندها أنّها جنّيّة ساحرة، فعاد مسروراً أشدّ السرور إلى القصر الملكيّ، فأقيمت حفلات الزفاف في ذلك المساء نفسه.

أصبحا زوجين، لهما أطيب الثمار ولنا ورق الصبّار.

النهاية